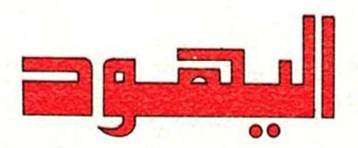


(٣٢)

اليهود





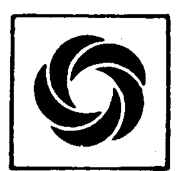
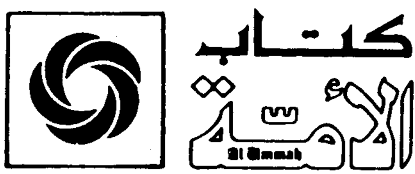
الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

الطبعة الأولى

شعبان ١٤١٢ هـ

فبراير ١٩٩٢ م

ما ينشر في هذه السلسلة يعبر عن رأي مؤلفيها.

صـــدر منـــه :

- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية — « طبعة ثالثة » الشيخ محمد الغزالي
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف — « طبعة ثالثة » الدكتور يوسف القرضاوي
- العسكرية العربية الإسلامية — « طبعة ثالثة » اللواء الركن محمود شيت خطاب
- حول إعادة تشكيل العقل المسلم — « طبعة ثالثة » الدكتور عماد الدين خليل
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري — « طبعة ثالثة » الدكتور محمود حمدي زقزوق
- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري — « طبعة ثالثة » الدكتور محسن عبد الحميد
- الحرمان والتخلف في ديار المسلمين — « طبعة ثالثة »« طبعة انجليزية » الدكتور نبيل صبحي الطويل
- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي — « طبعة ثانية » عمر عبيد حسنة
- أدب الاختلاف في الإسلام — « طبعة ثانية » الدكتور طه جابر فياض العلواني
- التـــراث والمعاصـــــرة — « طبعة ثانية » الدكتور أكرم ضياء العمري
- مشكلات الشباب : الحلول المطروحة والحل الإسلامي — « طبعة ثانية » الدكتور عباس محجوب
- المسلمون في السنغال ـ معالم الحاضر وآفاق المستقبل — « طبعة أولى » عبد القادر محمد سيلا
- البـــنوك الإســـلاميـــة — « طبعة أولى » الدكتور جمال الدين عطية
- مدخل إلى الأدب الإسلامي — « طبعة أولى » الدكتور نجيب الكيلاني
- المخدرات من القلق إلى الاستعباد — « طبعة أولى » الدكتور محمد محمود الهواري

- **الفكر المنهجي عند المحدثين**

« طبعة أولى » ـ الدكتور همام عبد الرحيم سعيد

- **فقه الدعوة ملامح وآفاق في حوار**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الأستاذ عمر عبيد حسنة

- **قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر**

« طبعة أولى » ـ الدكتور زغلول راغب النجار

- **دراسة في البناء الحضاري**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور محمود محمد سفر

- **في فقه التدين فهما وتنزيلا**

الجزء الأول والثاني « الطبعة الأولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور عبد المجيد النجار

- **في الاقتصاد الإسلامي (المرتكزات ـ التوزيع الاستثمار ـ النظام المالي)**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور رفعت السيد العوضي

- **النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية دراسة مقارنة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور محمد احمد مفتي والدكتور سامي صالح الوكيل

- **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور أحمد محمد كنعان

- **المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور عبد العظيم محمود الديب

- **مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ نخبة من المفكرين والكتاب

- **مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

- **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

● الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور علي المنتصر الكتاني

قال تعالى :

لَّا يَنهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَم يُقَاتِلُوكُم فِي الدِّينِ وَلَم يُخرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُم أَن تَبَرُّوهُم وَتُقسِطُوا إِليهِم انَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ . إِنَّمَا يَنهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُم وَظَاهَرُوا عَلَى إِخرَاجِكُم أَن تَوَلَّوهُم . وَمَن يَتَولَّهُم فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

(الممتحنة : ٨ ـ ٩)

تقديم

بقلم: عمر عبيد حسنه

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليُظهره على الدين كله ، وأنزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، ومهيمناً عليه ، وحفظه من التحريف والتبديل والعبث البشري ، الذي لحق بالكتب السماوية السابقة ، وهيأ له أوعية الحفظ من كتبة الوحي وحفظته في كل جيل : « كتاباً وقرآناً » ؛ فكان النص الديني الوحيد ، الذي وصل بطريق علمي صحيح ، ورد بالتواتر الذي يفيد قطعية الثبوت ، وعلم اليقين ، فاكتسب بذلك خصوصية المعيارية ، وصفة التقويم للكتب السماوية السابقة ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ (المائدة : ٤٨) . . وشكّل الأمة التي تمتلك القيم والمبادىء الصحيحة الثابتة ، التي تجعل منها الأمة المعيار أيضاً ، في ثقافتها وحضارتها ، ووسطيتها واعتدالها ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة : ١٤٣) . لذلك كان التقويم والنقد والشهادة والمراجعة والتصويب ، من خصائص هذه الأمة ومؤهلاتها ، بما تمتلك من معايير ، ووظيفتها ومسؤوليتها وتكليفها لاستنقاذ الناس ، وإلحاق الرحمة بهم ، وقيادتهم إلى الخير والحق ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .

والصلاة والسلام على النبي الخاتم الذي حذر الأمة المسلمة من السقوط في الارتهان الثقافي ، والاستلاب الحضاري ، بسبب عدم استمساكها بقيمها المعيارية ، وغلبة التقليد الجماعي والمحاكاة والتخاذل الفكري ، بقوله : (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى أنهم لو

دخلوا جحر ضبٍّ لاتبعتموهم) . . قلنا : يارسول الله : آليهود والنصارى ؟ . . قال : (فمن !؟) . . « رواه مسلم » . . المبعوث كافة للناس بشيراً ونذيراً ، والذي كانت الغاية من ابتعاثه ؛ إلحاق الرحمة بالعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) . . وبذلك تكافأت الفرص ، وألغيت الفوارق القسرية ، من الألوان والأجناس والأقوام ، التي تورث التعصب ، وتثير العداوة ، وَرُبِطَتْ كرامة الإنسان وفضله ، بكسبه وتقواه : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) . . فتأصلت المساواة التي هي روح الحضارة الإسلامية . . وبعد :

فهذا كتاب الأمة الثاني والثلاثون : « اليهود والتحالف مع الأقوياء » ، للأخ الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي ، في سلسلة الكتب ، التي يصدرها مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ، مساهمة في إعادة تشكيل الشخصية المسلمة المعاصرة ، وبناء الأمة المعيار ، وتبصيرها برسالتها ، ووظيفتها ، وموقعها الحضاري ، وفك قيود التحكم الثقافي ، ومعالجة أسباب التخاذل والتقليد الجماعي ، وفتح مجالات الاجتهاد الفكري والفقهي ، في محاولة لاسترداد دورها في الشهادة على الناس ، والقيادة لهم ، وإلحاق الرحمة بهم ، ومنحها القدرة على قراءة التاريخ العام بأبجدية سليمة ، وحماية تاريخها من النهب الثقافي والحضاري ، ومن ثَمّ صناعة التاريخ في ضوء سنن الله الفاعلة في الأنفس والآفاق ، استجابة لتكليف الله بقوله : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٧) ، والاضطلاع بهذا الفرض الكفائي ، ذلك أن التاريخ هو المختبر الحقيقي في إطار علوم الإنسان ، وهو الأب الشرعي للعلوم الاجتماعية التي لابد من الرسوخ فيها ، ومعرفة قوانينها وسننها ، التي تحدد المداخل الصحيحة للشهود الحضاري ، والتحويل الثقافي ، وتقود إلى صناعة تاريخية مستقبلية علمية ، بعيدة عن التنبؤ والظن والتخمين ، وتحدد خصائص

وصفات الأمم في المجال الإنساني ، التي تمكّن من التعامل معها في ضوء تلك اليقينيات التاريخية التي هي أشبه ماتكون ـ وإلى حدٍ بعيد ـ بنتائج التجارب المعملية في العلوم التطبيقية .

والتاريخ ـ كما هو معلوم ـ لايأتي من فراغ ، ولاينشأ في فراغ ، وليست حوادثه عبثاً من العبث ، وإنما هو في الحقيقة يمثل الاستجابة الطبيعية ، والصور التطبيقية المجسدة لعقيدة الأمة ، وقيمها ، ونظرتها للحياة والكون والإنسان ، أومايمكن أن نطلق عليه : عالم أفكارها ، أوتشكيلها الثقافي ، والذي يعتبر التاريخ إحدى الوسائل التي تشكله ، والثمرات التي تتشكل به . . لذلك يعتبر التاريخ أحد المداخل الرئيسة التي لابد من استصحابها لإدراك حقائق الحاضر وأبعاده العميقة ، بعيداً عن الصور ، ومايعتريها من الإيهام والزيف ، خاصة عند من يمتلكون القدرة على التكيف ، والتشكل ، والمخادعة . .

كما لابد من استصحابه مع وضع الحاضر في موقعه الملائم من المسيرة التاريخية ، لقراءة المستقبل قراءة صحيحة ، وتقدير ما سوف يصير إليه ، في ضوء المقدمات والعبر التي يوفرها التاريخ ويؤكدها الحاضر .

لذلك نعتقد : أننا حتى نتمكن من إدراك الأبعاد الحقيقية لأية أمة من الأمم ، أو حضارة من الحضارات ، لابد لنا من دراسة عقيدتها ، التي تشكل نظرتها للحياة ، ومنظومتها الفكرية (عالم أفكارها) ، أي : الإنتاج الفكري الذي يضع الأوعية الفكرية المستمدة من تلك العقيدة ، والذى يمثل الاتجاهات والمحددات الرئيسة لحركة الأمة ، وصناعة تاريخها ، وتجسيد عقيدتها في فعلٍ وممارسةٍ . ومن ثَمّ لابد لنا أيضاً من دراسة تاريخها الذي يحدد لنا بدقة نصيب العقيدة من التطبيق والواقع ، أي أثر العقيدة في صياغة الأمة ، وتشكيلها الثقافي ، وتنظيم حركة الحياة فيها . . وهنا نصل إلى السؤال الملح والأهم :

ماهو نصيب الحاضر من العقيدة ؟ وكيف يمكن تحديد موقعه من المسيرة التاريخية ؟ فإذا أدركنا هذه المقدمات تماماً ، وبشكل موضوعي بعيد عن

الأماني والرغبات ، واكتشفنا من خلال إدراكها أن المسيرة البشرية ليست عبثاً من العبث ، وإنما تحكمها سنن وقوانين ، وأقدار لاتتخلف ، استطعنا استشراف المستقبل ، والمدى الذي يمكن لنا بلوغه ، ومن ثَمّ وسائل التأثير في الفعل البشري ، وصناعة تاريخ المستقبل ، والفرار من قدر إلى قدر ، ومغالبة قدر بقدر ، للوصول إلى امتلاك القدرة على المداخلة المأمولة في مقدمات السنن والقوانين البشرية قبل أن نُحكَم بنتائجها .

إننا بهذا الفقه الحضاري ، أو العلم بالعقائد والثقافة التاريخية ، وعلم المجتمع البشري ، نكون قادرين على التعامل الصحيح ، وتحديد الأبعاد والمداخل الصحيحة للتعامل ، والمجالات المؤثرة في التغيير والتحويل الثقافي ، والحكم على الأمم والشعوب والحضارات ، ذلك أن المعرفة المحيطة « بالآخر » أصبحت اليوم من الأبجديات ، والحواس التي لايُستغنى عنها لأي باحث ، أودارس ، أوسياسي ، أومثقف ، أوصاحب قرار . . ولذلك نرىٰ أن مراكز البحوث والدراسات ، هي التي تقدم الخرائط الفكرية ، وأدلة العمل والتعامل ، للمعاهد والجامعات ، ومراكز القرار ، ومؤسسات التنصير ، والتجسس ، والتحكم الثقافي ، فهي في استقرائها لواقع الشعوب والأمم ، ومسحها الاجتماعي لتجاربها وثقافاتها ، وتوفير التخصص بالعقائد والأفكار والثقافات المتنوعة ، واللغات المختلفة ، كأدوات للتفكير وليست للتعبير فقط ، ومن ثم تحليلها للمعلومات ، توفر الحقائق الدقيقة التي هي بالنسبة لجامعات الدراسات الإنسانية ومؤسساتها ، أشبه بالمخابر المعملية بالنسبة لجامعات ومعاهد الدراسات التطبيقية .

لذلك نحسب أن العدول عن هذه المحددات المعرفية ، تحت شتىٰ المعاذير والفلسفات ، سوف يوقع بالفشل في التعامل ، والإحباط في النتيجة ، والخيبة في المسعىٰ ، حتى لو ترافق ذلك مع المزيد من التوثب الروحي ، والإخلاص الأميّ الأعمىٰ ، والفهم الديني المعوج ـ الذي يورث التدين المغشوش ـ لقولة الرسول صلى الله عليه وسلم : (نحن أمة

أمية ، لانكتب ولانحسب) ، وادعاء بعضهم أننا انتصرنا على حضارات كانت متمكنة من العلوم والمعارف على الرغم من أميتنا وعدم معارفنا وعلومنا ! وكأن الأمية ضربة لازب على العقل المسلم ، أو تكليف شرعي نخشى أن يقول صاحبه : إن الخارج عليه يمكن أن يكون خارجاً عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو الحال عند بعض المغفلين والمتنطعين ، الذين يعيشون بعيداً عن الرصيد العلمي والفكري للحضارة الإسلامية ، وكل النصوص الدينية التي تنهى الإنسان المسلم أن يقفو ماليس له به علم .

وأحسب أننا نحن مسلمي اليوم ، على الرغم مما نمتلك من الرصيد الفكري والتاريخي والواقعي عن يهود ، أحسب أن الكثير منا مايزال يتعامل مع قضية يهود على غير بيان ، وهدى ، وموعظة ، وعلم ؛ أو من خلال التشكيل الثقافي الخاص الذي فعلته فينا مناهج التربية والتعليم والإعلام الخارجة عن النسق الإسلامي ، والتي لم تكن أصابع يهود بعيدة عن التمهيد لها ؛ أو من خلال الأماني والإرادات الرغائبية ، البعيدة عن أي حيثيات علمية ، والتي غالباً ما يلتبسها الخلط لمختلف جوانب التعامل وطرائقه ، وظروفه ، وشروطه ، الأمر الذي حمل لنا الكثير من النتائج الخاسرة ، والمضاعفات السيئة ، والإحباطات المستمرة ، والتناقضات العجيبة ، وذلك بسبب العجز عن التعامل من خلال ثوابت معينة قررتها العقيدة ، واختبرها التاريخ ، وصدقها الواقع . . وإن صَدَق هذا على الذهنية الإسلامية المعاصرة التي تشكلت وصيغت خارج النمط المعرفي الإسلامي في تعاملها بشكل عام ، فإنه أشد صدقاً ووضوحاً في علاقتنا مع يهود ، التي يحكمها تاريخ طويل ، ونماذج تطبيقية شتى في أكثر من ظرف ، وأكثر من عصر .

والقضية التي نرى أنه لابد من الإلحاح عليها ، وتأكيدها باستمرار ، لأنها أصبحت غائبة عملياً عن الذهنية الإسلامية المعاصرة ، هي : خاصية خلود النص القرآني ، وتجرده عن حدود الزمان والمكان ، وأن أصول القضايا والمشكلات التي عرض لها ، هي أصول خالدة لاتخص عصراً

بعينه ، وأن العصر الأول ، فترة السيرة والخلافة الراشدة ـ مرحلة القدوة ـ وسيلة إيضاحها ، وبيان كيفية تنزيلها على الواقع ، ومن ثَمّ تعدية الرؤية للمستقبل . . والخلود يعني ، فيما يعني : أنها حقائق مستمرة ، لها شواهدها في كل عصر . . فالعدول عن تمثلها ، أو افتقاد القدرة على تمثلها ، يعني محاصرة خلود القرآن بعصر من بعض الوجوه ، وإسقاطاً لبعديّ الزمان والمكان في التنزيل ، وفصل النص الديني عن مسيرة الحياة ، وتوجيه مسالك الأحياء ، من وجوه أخرى .

والخلود يعني فيما يعني أيضاً : أن المعادلات الاجتماعية وسنن الله في الأنفس والآفاق التي وردت في القرآن ، أمور يقينية ، ماضية في الحياة ، كخصائص وصفات المادة ، في قوانينها الفيزيائية ، ومعادلاتها الكيميائية إلى حدٍ بعيد . . وفي اعتقادنا أن المسلمين لايزالون يُؤتَون ، كلما غابت عنهم هذه الحقائق ، أو غُيِّبت ، بسبب من التضليل الثقافي ، أو التشكيل التربوي الخارج عن النسق الإسلامي .

وقد يمثل هذا التشكيل المغلوط ، أو هذا التضليل الثقافي ، لوناً أو بعضاً من الخروج عن الدين ، ويلحق إصابات بالغة في التدين ، حتى ولو كان صاحبه يصوم ويصلي ، ويحج ويزكي ، ذلك أن حالة الخزي والتخاذل التي نعيشها اليوم ، إنما هي بسبب هذا التبعيض ، وعدم أخذ الحيطة التي أشار إليها القرآن بقوله : ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة : ٤٩) . . لقد حذر من التنازل عن بعض ما أنزل الله ، كما حذر أيضاً من الوقوع في علل التدين للأمم السابقة بقوله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : ٨٥) .

ومعاذ الله أن نعتبر المعادلات الاجتماعية ، ويقينيات القصص القرآني عن الأمم السابقة ، والسنن والأقدار التي شرعها الله لحكم الحياة والأحياء ، هي بعض القرآن ، الذي يمكن التساهل فيه ! وإنما هي من

المحاور الرئيسة التي تتحرك ضمن إطارها الحياةُ البشرية ، والتي جُعِل القرآن معيارها : ﴿ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ ، وجعلت أمة القرآن شهيدة عليها ، وقائدة لها : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة : ١٤٣) . . فكيف تتحقق الشهادة والقيادة والمعيارية ، بدون الرؤية القرآنية الشاملة والخالدة ، المجردة عن حدود الزمان والمكان ؟!

من هنا نقول : إن التقصير ، والتخاذل الفكري ، تجاه المسألة الاجتماعية وقوانينها ، التي بيّنها القرآن بشكل عام ، وتبلورت في القصص القرآني بشكل خاص ، وعجز المسلمين عن استنباطها ، وتأصيل فقه اجتماعي ، أوعلم اجتماع إسلامي ، هو السبب في التخلف ، والسقوط في الحفر ، على الرغم من كل التلاوات القرآنية التي لايخرج معظمها عن مقاصد التبرك إلى مواقع التدبر ، والتبين ، والاهتداء ، لهذه المعادلات الاجتماعية ، ومن ثَمّ الاتعاظ بها ، والله يقول : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ . هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . فأين فقه هذه السنن القرآنية ، وأين الاهتداء إلى إدراكها ، وأين الاتعاظ بتجارب الآخرين ، الأمر الذي لابد أن يثمر التقوىٰ ، أو الوقاية الاجتماعية ؟!

إن استمرار السقوط والتخلف في عالم المسلمين ، على الرغم من تلاوة القرآن ، وحفظه ، دليل على وجود خلل في أدوات ومناهج التوصيل الذي لم يحقق المأمول ، ولم يحملهم إلى التدبر المطلوب الذي يورث الهداية والاتعاظ والوقاية ، أو التقوىٰ الحضارية .

وقد يكون الأولىٰ للمشتغلين بالمسألة الفكرية ، والمهتمين بالتشكيل الثقافي ، وإعادة بعث الأمة وإحياء مواتها ، من الإسلاميين ، الذين يكتبون ، ويحاضرون ، ويتحدثون عن عظمة هذا الدِّين ـ الأمر الذي أصبح يقيناً عند معظم المسلمين اليوم ـ أن يتوقفوا ، ولومرة واحدة ، للقيام بعملية التقويم ، والمراجعة لطروحاتهم ووسائلهم ، في ضوء المتغيرات من حولهم ، ومن خلال المشكلات التي يعاني منها المسلم المعاصر عملياً ،

ويسألوا أنفسهم السؤال نفسه الذي طرحه الأمير شكيب أرسلان ، رحمه الله : « لماذا تأخر المسلمون ؟ » ولمّا تتحقق الإجابة المحددة التي تسهم بالتغيير وتحقيق النقلة النوعية بعد لأننا مانزال نخلط بين السبب والنتيجة .

كما عليهم أن يطرحوا على أنفسهم أيضاً السؤال التالي :

لماذا لم يُحدث هذا الدين العظيم التفاعل والتغيير المطلوب في الواقع الإسلامي ؟ ويخرجون من نطاق التعميمات ، والإعلانات ، والشعارات ، والاقتصار على التوجه صوب « الآخر » ، والإلقاء بالتبعة عليه ، ويضعون أيديهم على الأسباب الحقيقية التي هيأت الأمة للإصابة ، ومن ثمّ يقترحون المناهج ، والأوعية الفكرية والفقهية العملية ، وأدوات التوصيل المطلوبة لإنتاج الأمة المعيار ، وتحقيق التديّن العظيم الفاعل ، المتوازي مع الدين العظيم الذي مانزال نتحدث عنه ، دون أن نغادر مواقع الفكر التعبوي الذي قد يكون استدعته مرحلة استرداد الذات ، وتجديد الانتماء للإسلام ، واليقين بعظمة هذا الدين .

وأعتقد أن المساحة التعبيرية الكبيرة والمتكررة ، التي أعطاها القرآن لتاريخ بني إسرائيل ، والتي تحكي عمليّاً قصة وتاريخ النبوة مع البشر ، في مجال العقيدة ، والعبادة ، والسلوك ، يمكن أن تعتبر منجماً فكرياً لا ينضب للبيان ، والهدىٰ ، والموعظة ، والوقاية للأمة المسلمة ، التي أورثت الكتاب ، وانتقلت إليها القيادة الدينية للعالم بعد بني إسرائيل ، إضافة إلى ماقدمته السيرة والتاريخ الإسلامي بشكل عام من مختبرات وتحليلات عملية ، لشتىٰ صور التعامل ، من ألوان الحوار ، والمجادلة ، والمباهلة والمشاركة ، والمعاهدة ، والمواجهة . . . إلخ ، مما لم يدع استزادة لمستزيد .

وهنا قضية لابد أن نتوقف عندها قليلاً ، وهي : أنه على الرغم من كل الكيود والعهود المنقوضة ، والممارسات التي أكدت على مدار التاريخ أن اليهود هم أشد الناس عداوة للمؤمنين : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ . . . ﴾ (المائدة : ٨٢) ، واعتبار الإسلام لهم أنهم

كفار على مستوى العقيدة ـ وهذا أمر طبيعي متسق مع إقرار حرية الاختيار ـ إلا أنه اعترف بهم كمواطنين معاهِدين ، لهم حقوقهم الاجتماعية والإنسانية والدينية ، وأقام معهم علاقات اجتماعية متنوعة . . بمعنى : أن الإسلام الذي رفضهم على مستوى العقيدة ، اعترف بهم على المستوى الاجتماعي والوطني ، وبذلك تميز الإسلام تاريخياً عن ممارسات الدولة الدينية الثيوقراطية ، وكسر أسوار الكهانة ، وتسلط الإنسان على الإنسان ، وألغىٰ نوازع التعصب ، وحمىٰ حرية التدين والاختيار ، وقبل في مجتمعه مواطنين لايؤمنون بعقيدته ، الأمر الذي لم تستطعه الدولة الدينية في كل مراحل التاريخ ، والذي حمل الكثير من أبناء الأديان الأخرىٰ ، وعلى رأسهم اليهود ، للجوء إلى الإسلام ، والاحتماء به .

ولابد من الإشارة هنا إلى أهمية التمييز بين ما أقره الإسلام لغير المسلم كمواطن معاهِد ، له حقوقه وعليه واجباته ، وبين العدو المحارب في الدين ، الذي يحتل الأرض الإسلامية ، ويخرج المسلمين من ديارهم ، أو يظاهر على إخراجهم ، حيث الحكم الشرعي لمثل هذه الحالة معروف ، يقول تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُم فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَن يَتَوَلَّهُم فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة : ٨ ـ ٩) .

إن قصة بني إسرائيل في القرآن ، والمساحة التعبيرية الكبيرة التي يفردها لهم ، هي بالنسبة للمسلم دين يُلتزم ، ويقين يُعتمد ، لابد من استمرار حضوره ، واليقين بخلوده ، الذي يعني تعديته إلى كل عصر .

كما أن قصة يهود العملية في السيرة ، في الظروف المختلفة ، تعطي المسلم أيضاً آفاقاً وأشكالاً للتعامل متعددة ، كما تمنحه في الوقت نفسه ، ضرورة الحذر ، واستصحاب الرصيد التاريخي الذي لايجوز أن يحمل إلى مواقع

الظلم والتعصب ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (من ظلم معاهداً أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة) رواه أبو داود .

لقد خاطب القرآن يهودَ عصر النزول بما فعل آباؤهم وأجدادهم من جرائم ومواقف ، وبيّن علاقاتهم بالنبوة تاريخياً ، ليسقطها على واقع تعاملهم مع النبوة الخاتمة ، وكأن تلك الخصائص والصفات تنحدر من الآباء إلى الأبناء بحيث أصبحت جِبِلّة تُورث ، وهي ماضية في الأحفاد أيضاً في كل عصر وجيل . . وهذا لايمنع من أن يكون هناك من أسلم وحسن إسلامه ، لكن الأحكام إنما تكون للأغلبية ، كما هو معروف .

وخلود القرآن ، وتجرده عن حدود الزمان ، يعني أن تلك القوانين الاجتماعية ، والصفات النفسية ، مستمرة استمرار الحياة ، وإلا كان القرآن قصصاً تاريخياً للمتعة والتسلية ! ذلك أن عجزنا عن السير في الأرض ، والتوغل في التاريخ ، وامتلاك القدرة على التحليل ، والقراءة للمعادلات الاجتماعية ، لايعني توقف السنن ، أو عطالتها وعدم نفاذها في الحياة ومضيّها في الخلق ، وإنما يعني أننا أصبحنا خارج نطاق التاريخ والحاضر . . وكثيراً ما نتوهم أن المقابر التي نعيش فيها ، مدن تنبض بالحياة !

ونحن الآن ، لاندعي بهذه المساحة البسيطة ، أننا سوف نحيط بالرؤية القرآنية الشاملة لبني إسرائيل : عقيدتهم ، وخصائصهم ، ودورهم في التاريخ العام ، والحقائق اليقينية التي يقدمها القصص القرآني عنهم . . كما لاندعي أيضاً أننا نعرض لمواقفهم خلال المسيرة الإسلامية ، ابتداء من البعثة ، وتحول القيادة الدينية من بني إسرائيل لنكولهم عن حمل الأمانة ، ومروراً بالتاريخ الإسلامي المديد ، وصولاً إلى الحال الذي نحن عليه الآن ، على أهمية ذلك وضرورته ، وإنما هي ملامح لابد من التذكير بها ، ونوافذ لابد من الإطلالة منها ، واستحضارها ، واستصحابها ، لإبصار مجموعة من الحقائق التي يصعب تجاوزها ، والقفز من فوقها ، خاصة وأننا

نعتقد أن صور العداوة والكيد والمواجهة ، بمختلف ميادينها ، ستبقى خالدة ومستمرة ، خلود النص القرآني المجرد عن حدود الزمان والمكان . .

ولا نقصد بالمواجهة هنا : المواجهة العسكرية فقط ، التي لاتخرج عن أن تكون إحدى الوسائل المطلوب الإعداد لها ، حيث هو الإعداد المطلوب لترهيب العدو ، حتى لاتسوِّل له نفسه بالاعتداء والتدمير ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال : ٦٠) . . وليس معنى الترهيب هنا : انتقاص حقه ، أو نبذ عهده ، أو ترويعه ، وهو مسالِم معاهِد ، ذلك أن بناء الشوكة العسكرية الجاهزة لوقت الحاجة ، من لوازم إقرار السلم ، والعدل ، وعدم الاعتداء ، وحماية حرية العقيدة والاختيار . . كما أن بناء الشوكة العسكرية لايغني أيضاً عن بناء الشوكة في الميادين المختلفة : الشوكة الفكرية ، والشوكة التربوية والثقافية والعلمية . . . إلخ ، التي تمنح الحصانة ، وتحول دون الظلم والعدوان .

نعود إلى تأكيد القول : بأن القرآن خاطب يهود البعثة بجرائم آبائهم وأجدادهم ، وعرض لممارساتهم مع النبوة ، ونكولهم للعهد ، وتحريفهم للكلم ، وكنزهم للذهب والفضة ، وإشاعتهم للربا ، والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه ، وادعائهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه . . . إلخ ، مع أن المسؤولية في الإسلام فردية ﴿ وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (فاطر : ١٨) ، وكأن هذه الثقافة ، أو هذه الصفات هي خصائص متأصلة متوارثة ، إلى درجة أصبحت معها وكأنها جِبِلَّة لاينفك عنها يهود ، ولعل ذلك التشكل والتوارث كان بسبب توهمهم بأنهم متميزون ، وادعائهم أنهم الشعب المختار ، الأمر الذي أدى إلى حياتهم المنعزلة عن الآخرين ، وتشكيل مجتمعاتهم المغلقة في أحياء وحارات خاصة بهم ، وهي سوف تصدق على أحفادهم ، كما صدقت عليهم وعلى أجدادهم ـ كما أسلفنا ـ وستبقى هذه الخصائص والصفات متحدرة فيهم ، وخالدة على الزمن ، تظهر في أشكال من الصراع والمواجهات ، وتشتد وتخبو لتأخذ أشكالاً من التجسس والتسلل إلى الأفكار ، والأحزاب ، والتنظيمات ، وإفسادها من

الداخل ، حتى قيام الساعة ، وتغير نظام الحياة . . فهي معارك مستمرة ، وجولات دائمة ـ والشر من لوازم الخير ـ حتى ينطق الشجر والحجر ، ويتغير نظام الدنيا ، وتقوم الساعة . . وما أعتقد أن هذه المساحة التعبيرية في الرؤية القرآنية لمسألة يهود ، تخص زمن عصر النبوة ، وينتهي الأمر . . ولو كان ذلك كذلك لافتقد القرآن سمة الخلود ! فاليهود هم هم في كل عصر ، والخصائص والصفات التي عرض لها القرآن هي خصائص خالدة ، خلود النص القرآني نفسه .

ولعل فترة السيرة النبوية ، مرحلة القدوة ، وماحملت لنا من أخبار يهود ، في مواجهة الدعوة منذ مراحلها الأولى ، والكيد لها ، بعد أن جاء النبي الذي كان اليهود يستفتحون به ، من العرب ، أومن غير الشعب المختار ، والصورة المجسدة للتعامل بأشكاله المتعددة ، من المجادلة بالتي هي أحسن ، إلى الدعوة إلى كلمة سواء والحوار ، إلى المشاركة في وثيقة المدينة ، إلى المعاهدات مع القبائل اليهودية ، من بني قريظة ، والنضير ، وقينقاع ، إلى المباهلة بعد العجز عن الوصول إلى الاتفاق ، إلى المواجهة العسكرية ، إلى التسلل إلى الصف الإسلامي من خلال صناعة النفاق والمنافقين ، والتآمر ، والكيد ، والتشكيك في العقيدة وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض القضايا للإحراج ، ومن ثَمّ استقرار الحكم الشرعي والفعل الإسلامي مع ذلك بقبول اليهود كمواطنين معاهِدين في المجتمع الإسلامي في كل حقب التاريخ المختلفة ، من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق ، إلى الأندلس . . . إلخ ، يعطي المسلم تجربة غنية ، ورؤية واضحة لكل الأبعاد المطلوبة للتعامل مع يهود ؛ وأن المسلمين كلما تحققوا بالرؤية القرآنية ، واعتبروا بالواقع العملي في السيرة النبوية ، كانوا الأقدر على إعطاء حقوق يهود ، والحذر من مكرهم وخداعهم ، وكلما ابتعدوا عن الرؤية القرآنية ، والعبرة التاريخية ، أو غفلوا عن أسلحتهم وأمتعتهم ، وقعوا في حبائل يهود بشكل أوبآخر ، أوتصرفوا معهم تصرفات شاذة ناتجة عن ردود الفعل ، إلى درجة قد تكون مرفوضة إسلامياً .

وقد لانحتاج اليوم دليلاً على خلود الرؤية القرآنية عامة ، وفي مسألة يهود خاصة ، فاستقراء التاريخ يؤكدها ، وقراءة الحاضر تشهد لها ، وبصائر المستقبل تبرهن عليها ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت : ٥٣) . . فعملية استبانة الحق والخلود لاتزال تؤكدها الأيام . وما لم يتحقق المسلمون بالرؤية القرآنية ، أو بالرؤية الإسلامية عامة في التعامل مع اليهود ، فسوف تستمر الهزائم والخسائر في مختلف الأصعدة ، لذلك كان من أولويات اليهود تاريخياً إخراج المسلمين عن دينهم لضمان الغلبة عليهم . . ومحاولات إخراج المسلمين عن دينهم ، أخذت أشكالاً متعددة ومتنوعة ، من محاولات التسلل إلى النص الديني وتأويله من خلال إشاعة الروايات الإسرائيلية التي شحنت بها الكثير من كتب التراث ، أو من خلال التسلل إلى الصف الإسلامي وصناعة النفاق ، أو من التظاهر بالإيمان لفترة ، لتخريب الداخل الإسلامي وتفجيره ، وتشكيك أتباعه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران : ٧٢) .

وقضية تسلل اليهود إلى الأديان ، والأفكار ، والأحزاب ، والعقائد ، والتنظيمات ، والجماعات ، والتنظير لها ، والحماسة لأهدافها ، وتوزع المواقع والأدوار ، والمراهنة عليها جميعاً في وقت واحد ، لاتحتاج إلى دليل وشاهد ، وقد لانأتي بجديد إذا ذكّرنا بدورهم في تخريب النصرانية ، وبقصة بولس (شاول) ، الذي كان من أشد الناس عداوة للنصرانية وهو لم ير عيسىٰ عليه السلام ، ولم يسمعه ، وكان من أبرز وأنشط المضطهدين للحواريين ، فانقلب فجأة إلى أشد المتحمسين لها ، وادعىٰ أن المسيح ظهر له ، وطلب إليه إيصال تعاليمه الجديدة إلى النصارىٰ ، فأصبح (بولس الرسول) ، أو (القديس بولس) الذي يشرِّع للنصارىٰ دينهم !

وإذا عرفنا أيضاً أن « كالفين » ، رائد حركة الإصلاح الديني في أوربا ،

كان يهودي الأصل ، وأن « مارتن لوثر » صاحب حركة الإصلاح الديني ، كان يتصرف من خلال إيحاءات أصدقائه اليهود !

وأن ٦٠٪ تقريباً من الأميركيين هم بروتستانت !

وأن ١٥٪ تقريباً من قسس البروتستانت الذين يمارسون الوعظ يوم الأحد في الكنائس النصرانية من اليهود !

وأن البروتستانت يستعملون في صلواتهم التوراة (العهد القديم) !

وأنهم يؤمنون بفكرة أرض الميعاد ، وإعادة بناء الهيكل ، والوعد الإلهي لإسرائيل !

وأنهم - أي اليهود - وصلوا في الإطار الكاثوليكي أيضاً إلى وثيقة التبرئة المشهورة : تبرئة اليهود من دم المسيح ، وإبطال العقيدة والعبادة النصرانية في ذلك الموضوع لقرون طويلة !

إذا عرفنا ذلك ، أدركنا البعد الديني الذي يتحرك فيه يهود عالمياً ، سواءً في أميركا ، أو في بريطانيا ، أو في غيرهما من دول أوروبا بعامة (راجع كتاب الأصولية الإنجيلية) .

حتى أننا لنجد الكثير من تصريحات الزعماء والقادة السياسيين الأميركيين ، والغربيين بشكل عام ، ومواقفهم ، محكومة بالرؤية الدينية التوراتية . . وقد لايكون المطلوب هنا الاستقصاء لتلك التصريحات والمواقف ، ولكنها نماذج يمكن أن تشكل نافذة كافية ، وإثارة مطلوبة من خلال المساحة المتاحة . ويبقى الموضوع مطروحاً للاستقصاء والتتبع ، وإدراك مدى أهمية التعرف على الخلفية الفكرية والثقافية للعالم الذي نتعامل معه :

يقول الرئيس الأميركي السابق « رونالد ريغان » لأحد أعضاء اللوبي اليهودي الأميركي : إنني أعود إلى نبوءاتكم القديمة في التوراة ، حيث تخبرني الإشارات بأن المعركة الفاصلة بين الخير والشر مقبلة . . وأجد نفسي أتساءل : إذا ماكنا الجيل الذي سيشهد وقوع ذلك ، إنني لا أعرف إذا ماكنت أنت قد لاحظت هذه النبوءات مؤخراً . . ولكن صدقني أنها تصف

الأوقات التي نجتازها الآن . . (مجلة الأمة ، العدد ٥٨ ، ١٩٨٥م) .

ويقول وزير خارجية أميركا الحالي « جيمس بيكر » في معرض سرده لقصة تنشئته الدينية في تكساس : لقد احتلت دولتان على نحو خاص مكاناً في ضميرنا ، وهما الولايات المتحدة حيث نعيش ، وإسرائيل القديمة التي شهدت مولد الديانة المسيحية ، ولذا فإن إسرائيل تمثل جزءًا من القيم التي أعتز بها (جريدة الخليج ، ١٩٩١/٣/٢١م) .

أما موضوع المنظمات اليهودية الأميركية ، ونشاطاتها المتنوعة تحت شعارات متعددة ، فأكثر من أن تُحصىٰ أو يُحاط بها ، حيث يوجد أكثر من مائتي منظمة قومية يهودية في أميركا ، مما يجعل اليهود أكثر الأقليات الأميركية تنظيماً ، وتأثيراً ، فلديهم كنس ، ومراكز للشبان ، ووكالات للعلاقات الطائفية ، واتحادات ، ومنظمات تمويل ، ومجموعات ثقافية وتعليمية ، ومحافل أخوية ، وجمعيات صداقة ، وتنظيمات خيرية ، بحيث استطاع اليهود الاندماج في المجتمع الأميركي ، والوصول إلى مراكز التأثير والفاعلية فيه ، وتشكيل النخبة العالمة والمتحكمة ، والتي يصعب معها على أميركا الخروج عن رغبة يهود . .

والاندماج الذي نعنيه هنا ، لايعني الذوبان وفقدان الهوية ، وإنما يعني الدخول في النسيج الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، وتوظيفه لخدمة أهدافهم .

أما اليهود في روسيا وأوروبا الشرقية ، فحسبنا أن نعلم أن روّاد الشيوعية ومنظريها ، ومفكريها ، معظمهم من يهود ، أو ممن وقعوا تحت تأثيرهم - واليهود لايزيد عددهم عن ثلاثة ملايين تقريباً - وعلى الرغم من ذلك ، كانوا يحتلون سبعة مقاعد من أربعة عشر مقعداً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (اعتباراً من عام ١٩١٧م) ، وأن معظم قادة إسرائيل ، وعمقها البشري الذي شكل الاستعمار الاستيطاني ، هم من يهود الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية ، وأنهم الطائفة الوحيدة التي استطاعت الرهان على الشرق

والغرب معاً ، وحسن التعامل معْ الماركسية والفوز بالنصيب الأوفر منها ، حيث المراهنة دائماً على حصانيّ السباق .

نعود إلى القول : إن اليهود كانوا الأقدر على التسلل إلى الأديان ، والعقائد ، والأفكار ، والتنظيمات ، والجماعات ، والمراهنة على أكثر من صيد ، وتبادل الأدوار ، وأن ذلك هو ديدنهم تاريخياً ، وأن المسلمين لم ينجوا منهم بإطلاق . . فمنذ اللحظات الأولى للنبوة ، وتحول القيادة الدينية إلى العرب ، اتخذ اليهود موقفاً من النبوة ، على الرغم مما كانوا يستفتحون به على الذين كفروا . يقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٨٩) . ولما لم يستطيعوا مواجهة المسلمين ، عمدوا إلى التسلل والتستر ، وصناعة النفاق ، وكان اليهود هم شياطين المنافقين الذين ينظمون لهم خططهم ، ومن ثَمّ تمذهب النفاق ، وجاءت كل الفرق الباطنية التي تعيش في الجسد الإسلامي كألغام حاضرة للانفجار في كل وقت ، والتي ترجع في جذورها إلى النفاق .

كما أنهم لما لم يستطيعوا أن يتسللوا إلى النص الديني المحفوظ والمنقول بالتواتر (القرآن) ، حاولوا التأويل والتحريف ، وشحن هوامش النصوص الدينية بالقصص الخرافية والإسرائيليات ، إضافة إلى ماوجدوه مجالاً خصباً في نطاق وضع الحديث النبوي ، الأمر الذي استفز المسلمين لوضع ضوابط وتدوين الحديث الصحيح . . هذا بالنسبة للتراث الفكري الإسلامي . أما في المجال السياسي والاقتصادي فالأمر يطول ذكره ، وحسبنا أن نعلم أن تسلل اليهود إلى دولة الخلافة ، وإعلان الإسلام ظاهراً كوسيلة مرور ، ومن ثَمّ العمل على تقويضها من الداخل ـ ما فعله يهود الدونمة ـ ساهم إلى حدٍ بعيد بسقوطها . . حتى لقد وصل اليهود إلى بعض المراكز الدينية الإسلامية في أكثر من بلد إسلامي ، تحت ستار اعتناق الإسلام ، والتفقه في الدين ، ولعل قصة « موسى بن ميمون » الذي حفظ القرآن ، وتفقه بالمالكية في الأندلس ، وعلاقته بالحكام ، ومن ثم عودته إلى

مصر وإشهار يهوديته ، واستمراره ثلاثين سنة المسؤول الروحي لليهود في مصر ، ووصوله إلى البلاط الأيوبي ليكون طبيباً لعلاج صلاح الدين رحمه الله ، فيها الكثير من العبر والعظات . .

لم تتوقف محاولات يهود ، ولن تتوقف ، ولو توقفت لكان خلود الرؤية القرآنية محل شك بيقين . . لكن امتلاك القدرة على تغيير الأساليب ، هي التي تغرر ببعض المسلمين . ولاشك اليوم أن المؤرق الوحيد لإسرائيل ، هو الصحوة الإسلامية التي سوف تفسد عليها مخططاتها ـ إذا ماتحققت تماماً بالرؤية القرآنية ـ لذلك فهي تحاول محاصرتها على مختلف الأصعدة ، وتغري بشل حركتها ، ومحاربتها ، وتوقع بينها وبين الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي ، وتخوفها منها ، وتخوف العالم كله من عودة الأصولية ، وخطرها على الحضارة العالمية ، وتحاول الامتداد بذراعها لتطول كل عناصرها ومؤسساتها . . والذي يقرأ التاريخ ، لابد أن يدرك أن إسرائيل سوف لاتقتصر على ذلك ، وقد بلغت في ذلك نجاحاً ملحوظاً ، واستطاعت محاصرة الصحوة والإغراء بضربها إلى حدٍ بعيد ، على يد بعض أبناء المسلمين ، الذين أُعِدُّوا لمثل هذه الأهداف ، وإنما تفكر اليوم في كيفية التسلل إلى داخلها في محاولة لتخريبها من الداخل بعد أن كادت تُحكم الحصار حولها ، وشل نشاطها من الخارج ، لأنها تعلم أن ذلك حالة مؤقتة لاتقوى على الاستمرار .

ولعل القضية الأخطر في هذا الموضوع ، مانشرته جريدة القبس الكويتية في ملحق عددها رقم ٦٤٩٥ ، بتاريخ ١٩٩٠/٦/٧م ، تحت عنوان « قضايا القبس » : من أنها حصلت على معلومات من باريس تقول : « إن هناك إسرائيليين شرقيين يُتقنون اللغة العربية كأبنائها ، كُلّفوا من قِبَل الموساد بتشكيل مجموعات تزعم أنها أصولية ، هدفها زعزعة البنى العقائدية والاجتماعية في الشرق الأوسط ، خاصة وأن الأصولية الآن تبدو كأنها الصرخة العقائدية الأخيرة في المنطقة ، فلماذا لايدخل اليهود في هذه الصرخة ؟! » .

وتتابع القبس القول : « والمعلومات التي وردت تدق ناقوس الخطر . . فهناك يهود في بلدان غربية يدعون الانتماء إلى دول إسلامية أو عربية ، لا بل يحملون جوازات سفر (صادرة) عن هذه الدول ، يقومون الآن بتشكيل مجموعات إسلامية ، إما في الجامعات ، أو في المصانع ، أو في أي مكان آخر تتمركز فيه جالية إسلامية . . وهذه المجموعات المبرمجة تصل إليها الإمدادات المالية . . » .

وتقول المعلومات ـ والكلام مايزال للقبس ـ : « إن الموساد استطاعت وخلال عقود من العمل في أوربا الغربية بشكل خاص ، تجنيد مئات الأشخاص العرب للعمل لحسابها ، وقد أعطيت التعليمات للعديد من هؤلاء لإطلاق لحاهم ، ولمتابعة دورات في التثقيف الديني ليكونوا بمثابة القنابل البشرية التي يمكن أن تستخدم في الوقت المناسب . أي أننا أمام نوع جديد من القنابل التي تتمسح برداء الدين . . » . .

ولعل قدرة اليهود في إقناع العالم لإسقاط نوع الديانة من جوازات السفر ، والوثائق المدنية عامة ، مكن لهم المرور إلى معظم المواقع ، تحت جنسيات شتى . . ورغم خطورة هذه المعلومات التي أوردتها جريدة القبس ، وحساسيتها ، ومايمكن أن تبثه من الشكوك والريب حول بعض العاملين في الحقل الإسلامي ، وبعض قياداته أيضاً ، إلّا أنه لابد من الإتيان على ذكرها للحذر ، والتحذير ، ذلك أن الكثير من الانفجارات المسماة بالإسلامية ، والمواجهات الهستيرية ، تجعل الإنسان المسلم يقبل مجرد طرح مثل هذه القضية للحذر والتحذير ، وللتأكيد من جديد على أهمية الانضباط بالمعيار الإسلامي ، واليقظة الدائمة ، وعدم الغفلة التي تمكن من تسلل بعض العناصر والأموال المشبوهة ، كما تدعو إلى اعتماد وسائل أكثر تقدماً للمراقبة والحذر .

وقد لايكون ذلك التسلل أمراً مستغرباً ، بل المستغرب الغفلة عنه ، التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم ، بعيداً عن الرؤية القرآنية الخالدة ، التي لم تكتف برصد تحركات يهود ، وكشف أساليبهم تاريخياً ، تلك الأساليب التي

لم تتوقف في عهد النبوة ، على الرغم من أن الوحي كان يعري هذه المواقف ويفضح تلك المؤامرات ، ومع ذلك كان يحصل الاختراق ، ويسقط بعض المسلمين في حبائلهم ، إلى درجة القول : « إن لنّا فيهم ولاية » ، وذلك عندما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعاقبهم على خياناتهم . .

ولولا أن هذه القولة : « إنّ لنا فيهم ولاية » قائمة في كل زمان ، والاختراق محتمل في كل عصر ، لما كان هناك أي معنى لخلود قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . . . ﴾ (المائدة : ٥١) ، الذي جُعل قرآناً يُتلىٰ على الزمن ، وعلى الرغم من أنه لاعلاقة للنصارىٰ مباشرة بسبب النزول ، لكن جاء النص لتحديد جهة الولاء الوحيدة بالنسبة للمسلم ، واستمرار حالة الحذر الدائم . . والعبرة بعموم اللفظ ، لابخصوص السبب ، كما يقول علماء الأصول ، وكما تقتضي صفة الخلود .

نعود إلى القول : بأن القرآن لم يكتف برصد تحركات يهود وكشف أساليبهم ، وإنما تجاوز ذلك إلى بيان طوايا نفوسهم ودخائلها ، ليكون المسلم على بيِّنةٍ وحذر مبصر . وأعتقد أن هذه المساحة التعبيرية الكبيرة في القرآن ، التي عرضت لجميع الجوانب ، ليست للتهويل وإشاعة الرعب في النفس المسلمة ، بقدر ماهي بيان وهدى وموعظة للمتقين . . وكلما تجددت الأيام والأحداث ، شعرنا بأهمية التحقق بالرؤية القرآنية للتشكيل الثقافي ، والوصول إلى المناعة الحضارية ، وأدركنا لماذا أعطى القرآن هذه المساحة لقضية يهود .

والحقيقة التي لابد من الاعتراف بها : أن اليهود تاريخياً ، كانوا الأقدر على الإفادة من سنة التدافع الحضاري . . ولعل ذلك بسبب قلة مساحتهم البشرية ، واعتقادهم بالتميز ، وافتقادهم للقوة . . وكانوا الأقدر على اعتلاء المنابر الفاعلة ، والتحقق بالاختصاصات المؤثرة ، وجعل التخصص في خدمة الفكرة والعقيدة . . كما لابد أن نعترف بأن وصولهم إلى هذه الأزرار الاجتماعية التي يضغطون من خلالها على العالم ، لم يأت من

فراغ ، وإنما من تقدير وتدبير ومعاناة ، وقراءة للواقع العالمي ، ورسم المداخل الصحيحة للاندماج به ، والتعامل معه ، وعدم الذوبان فيه ، واحتلال كل المواقع والتخصصات المؤثرة ؛ في الوقت الذي لايزال الكثير من الغوغائية يسيطر على بعض العقول التي تنتسب إلى الإسلام ، وتتبارى في القدرة على الخطب والحماس ، ورفع الأصوات ، وسماكة الحناجر ! وقد يرى بعضها أن من مقتضيات الدعوة والعمل الإسلامي ، مغادرة مقاعد العلم والتخصص . . إنّ العجز عن إدراك قيمة التخصص في قيادة المجتمعات ، والتأثير فيها ، وإدراك حكمه الشرعي ، وأنه من الفروض الكفائية ، أوصلنا إلى هذا الواقع المريع من التخاذل الثقافي ، والسقوط الحضاري ، والقصور الديني ، إن صح التعبير ، أوتكريس التخلف باسم التدين ، وكأن الدعوة تقتضي التفرغ من التعلم أمام تلك المعادلة المغلوطة والمختلة في الوقت نفسه : إما التفرغ للدعوة ، وإما التفرغ للعلم ، بحجة أن جيل الصحابة الذي فتح الدنيا لم يكن متخصصاً ، كان لايكتب ولايحسب !!

وقد يكون من المفيد الإتيان على ذكر الكثير من النماذج والأمثلة لقدرة اليهود على الإفادة من سنة التدافع الحضاري ، واعتلاء المنابر الاجتماعية والتخصصية الفاعلة ، وامتلاك القدرة على جعل التخصص والمهنة في خدمة الفكرة والعقيدة ، فلعل في ذلك استشعاراً للتحدي ، واستفزازاً للواقع ، واستنفاراً للهمم ، وإيقافاً لحالة السبات العام التي ماتزال تسيطر على العالم الإسلامي ، وترشيداً للصحوة والدعوة ، وتبصيراً لها ببعض المواقع والخرائط الفكرية ، وإيضاحاً لإدراك أبعاد المواجهة المتعددة ، وليس لليأس وإشاعة ذهان الاستحالة والعجز ، حيث لامجال اليوم للكسالى والأغبياء في عالم الأذكياء .

وسوف أكتفي بإبراز بعض النماذج بقدر ماتسمح به هذه المساحة . . تلك النماذج التي استطاعت أن تتحكم في وجهة العالم السياسية ، والعلمية ، والإعلامية ، والمالية . . . إلخ ، وأن توظف الحضارة العالمية لخدمة

أهداف يهود ، في الوقت الذي نرى فيه كثيراً ممن يسمون مسلمين ، من الذين ذهبوا إلى بلاد الحضارة الغربية ، إما أن ينتهي معظمهم إلى مقابر الحضارة في الغرب ، ويصبح دماء في شرايينها ، بعيداً عن الشاكلة الثقافية الإسلامية المطلوبة ، وإما أن ينتهي إلى مزابل الحضارة وقذارتها الجنسية . . وأما الباقون في العالم الإسلامي ، فمعظمهم يمارسون حالة الانتظار لسقوط الحضارة لصالحهم ، دون أن يقدموا لذلك شيئاً يذكر !

لقد أدرك اليهود بشكل مبكر ، دور التخصص ، وإتقان العمل ، في التحكم بالمجتمعات ، والتأثير فيها ، فكان منهم العلماء ، والمفكرون ، والباحثون ، الذين يحتلون اليوم معظم المنابر العلمية والتقنية المؤثرة ، سواءً في تلك العلوم الإنسانية ، أو التطبيقية على حدٍ سواء . . ففي علم النفس ، وعلم الاقتصاد ، والاجتماع ، والكيمياء ، والفيزياء ، وعلوم الذرة ، وعلوم الأسلحة الاستراتيجية (حرب النجوم) ، وفي الجامعات ومراكز البحوث والدراسات ، وفي مجال الصحافة ، والإعلام ، والإنتاج ، والسينما ، لهم ريادات وقيادات . فاسم فرويد في علم النفس . . ودور كهايم في علم الاجتماع . . وانشتاين في الرياضيات . . ووايزمن في الكيمياء . . وغيرهم من حاخامات العلم الذين يتابعون رحلة بولس (شاول) ، وموسىٰ بن ميمون ، وغيرهم من حاخامات الدين ، لايزالون يثيرون الجدل ، ويخطفون الأبصار ، إلى اليوم .

نعود إلى القول : بأننا سوف نكتفي بذكر بعض النماذج المعاصرة في أكثر من مجال ، لعل في ذلك عبرة واتعاظاً . . فمثلا . .

- رجل الأعمال اليهودي الدكتور « آرماند هامر » ، الذي وصل لأن يكون مفتاح العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - أيام عظمته وتعصبه الأيديولوجي - رغم كل الحواجز والموانع الأيديولوجية والسياسية ، ابتداءً من عهد لينين ، وحتى في أشد أيام الحرب الباردة . . أما تعريفه ، فهو طبيب ، ورئيس شركة أوكسيد نتال للنفط . . والده أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الأميركي . . قاد عملية الاستثمار الغربي في أوربا

الشرقية . . والدور الذي قام به بالنسبة ليهود الاتحاد السوفييتي ، وتأمين عمليات الهجرة من خلال الضغط الأميركي ، ليس محل مناقشة . . إن انتماء هامر الأب للشيوعية ، كان الغطاء المثالي لتلك العلاقات المثلثة التي أقامها هامر الابن ، بين أميركا وروسيا وإسرائيل ، على الرغم من انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي وإسرائيل ، لكن العلاقات العلمية والسفارات الشعبية لم تتوقف . . وبعد وصول الرئيس غورباتشوف - أو إيصاله - أقام معه هامر علاقات شخصية ، واستطاع مد الجسور ، وكان أحد عناصر القمة التي عقدت بين ريغان وغورباتشوف ! .

- شابيرو عالم الكيمياء : ابن أحد الحاخامات الذين نزحوا من ليتوانيا ، والذي درس الكيمياء ، وبدأ حياته في برنامج تطوير مفاعل لأول غواصة نووية أميركية ، والذي تمثل نشاطه وسعيه الدائب على جمع المعلومات والأجهزة العلمية ، وإيصالها إلى مؤسسة (تكنيون) الإسرائيلية للتكنولوجيا في حيفا !

- إدوارد تيلر العالِم الفيزيائي : الذي يُلقب « أبو القنبلة الهيدروجينية » ، والمشارك الرئيس بأسلحة حرب النجوم ، أو مبادرة الدفاع الاستراتيجية ، والذي يعلن اليوم أن الاستمرار فيها ضرورة قومية ، لا من أجل الولايات المتحدة وأصدقائها ، كسلاح فعال ورادع ، وإنما لما يترتب عليها من تقنيات واختراعات متطورة تساهم بتقدم البشرية . . ويقول : لولا البرنامج الأخير ، لما وصلنا إلى إشعاعات الليزر ذات الطاقة الكبيرة .

- روبرت ماكسويل ، اليهودي ، التشيكي الأصل ، الذي انتقل إلى بريطانيا عام ١٩٦٤ ، وادعى أنه اعتنق النصرانية ، وترك اليهودية ، واختير كعضو للبرلمان البريطاني ، كان عند وفاته يرأس ٧١ شركة عالمية ، وكان صاحب أكبر إمبراطورية صحفية في العالم تقريباً ، إذ بلغ عدد موظفيه أكثر من عشرين ألف موظف .

تقول زوجته : بالرغم من أنه كان عضواً في البرلمان ، إلا أنه لم ينس يوماً

بأنه أجنبي ، وأنه يهودي . . وهو يقول عن نفسه : ولدت يهودياً ، وسأموت يهودياً .

لقد اعتبره اسحق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي « بطلاً إسرائيلياً . . وشخصاً عظيماً . . وضع إمكاناته المالية في خدمة الصناعة الإسرائيلية » . وكان جون ميجور رئيس الوزراء البريطاني قد قال عنه عقب وفاته : إنه « شخصية عظيمة ، أعطاني معلومات ذات قيمة كبيرة عن الوضع الداخلي في الاتحاد السوفييتي خلال المحاولة الإنقلابية في أغسطس الماضي » .

أما احتفال يهود بمراسم دفنه ، التي شارك فيها مسؤولون إسرائيليون على أعلى المستويات ، وتمت في أقدس بقعة - من وجهة نظرهم - في فلسطين ، فلا تخفى مدلولاتها . .

إن اهتمام يهود بمنابر الإعلام أو بالقضية الإعلامية ، وإدراك أثرها في تشكيل الإنسان ، وصناعة قناعاته ، وتضليله الثقافي والسياسي ، ليس بأقل شأناً من غيرها من القضايا الفاعلة ، والمواقع المؤثرة ، إن لم يكن أعظمها . . وحسبنا أن نعلم : أن العالم اليوم يعيش مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة ، التي ألغت الحدود ، وأزالت السدود ، واختزلت مسافات الزمان والمكان . . وأن لدى يهود ٢٤٤ صحيفة أو يزيد ، في الولايات المتحدة ، منها ١٥٨ دورية . . وثلاثين دورية في كندا . . و١١٨ صحيفة في أمريكا اللاتينية . . و٣٤٨ دورية ومجلة في أوروبا . . وأن كبار أصحاب الصحف ورجال الأعمال في مجال الصحافة والإعلام في العالم ، من اليهود . . ولابد أن نذكر بالجهود الكبرى التي بذلوها لشراء صحف ومحطات إذاعة وتلفزيون في أوروبا الشرقية بعد السقوط الشيوعي ، في محاولة لاستغلال مناخ الانفتاح السياسي والاقتصادي ، وركوب الموجة ، واستثمار رؤوس الأموال ، بهدف التأثير على سياسة وتوجهات الإعلام ، وخلق آراء وقناعات محددة في تلك البلدان !

هذا وإذا تجاوزنا إلى دور اليهود في وكالات الأنباء العالمية ، التي تنتقي

الخبر ، وتصوغه ، وتبثه ، ليشكل المادة الإعلامية المسموعة ، رأينا العجب العجاب .

ولعل إدراك اليهود ، المبكر لخطورة فن السينما ، وصناعتها ، والوصول إلى المواقع المؤثرة في الإخراج ، والإنتاج ، والتمثيل ، منحهم قدرات هائلة على احتلال وقت ، وعقل ، ومشاعر الناس ، وصياغة وجدانهم ، على مستوى العالم ، انطلاقاً من هوليود ، المركز العالمي للسينما ، عدا عن الإنتاج الخاص ، حيث تُنتج إسرائيل سنوياً من ١٦٠ ـ ١٧٠ فيلماً روائياً وتسجيلياً قصيراً ، كما يوجد فيها ٣٦٠ داراً للعرض .

لقد استطاع الإعلام الصهيوني عامة ، وفن السينما خاصة ، تحويل الضحية إلى قاتل ، والقاتل إلى ضحية ، ذلك أن السينما تُعتبر إلى حدٍ بعيد ، المدخل الثقافي والفني للجماهير ، حتى أنّ بعضهم يرى أن عشرة سينمائيين مهرة ، يعدل تأثيرهم مليون كتاب .

ـ ولعل ما أوردته بعض الصحف عن فريق الظل الذي يمثل فيه اليهود أربعة أخماس الوفد الأميركي في مباحثات السلام المرسومة في الشرق الأوسط ، لمتابعة لقاءات مدريد ، والعمل على بلورة المواقف وتحديد مسارها وأولوياتها ، خلال سير المفاوضات ، يعتبر الصورة الأحدث لما نحن بصدده . . وقد يكون من المفيد الإشارة إلى المواقع التي يحتلها أعضاء هذا الوفد في السياسة الأميركية :

١ ـ دينيس روس ، رئيس الفريق : يهودي ، رئيس مجموعة تخطيط السياسة في الخارجية الأميركية .

٢ ـ دانيال كورتسير : يهودي ، متدين ملتزم . . نائب مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون التخطيط السياسي ، أسهم في تصميم الحوار الأميركي مع منظمة التحرير الفلسطينية .

٣ ـ أرون ميلر : يهودي ، يحمل شهادة الدكتوراه في تاريخ الشرق الأوسط . . له كتابان عن الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية ، سبق أن عاش في إسرائيل ، ويتقن اللغة العبرية .

٤ ـ ريتشارد هاس : مساعد خاص للرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي ، وهو بدوره يهودي سبق له أن عاش ودرس في إسرائيل .

أربعة من خمسة في فريق الظل الذي يشرف على هندسة المفاوضات حول الحل السلمي للشرق الأوسط ، من اليهود المتخصصين في قضايا المنطقة ، ويشغلون هذه المراكز المتحكمة والحساسة في السياسة الأميركية ! ومع ذلك ، لايزال الكثير منا يستغرب التحكم اليهودي في السياسة الأميركية ، ولايدرك مداخل هذا التحكم ويظن أنه جاء من فراغ !

نعود إلى القول : إن قدرة يهود على الإفادة من سنن التدافع الحضاري ، واعتلاء المنابر الفاعلة ، والوصول إلى التخصصات النادرة ، مكنهم من عملية التحكم إلى حدٍ بعيد ، وجعل الثقافة اليهودية ، والرؤية التوراتية ، هي الموجِّه والضابط للمسيرة العلمية عندهم . والمسلمون اليوم ، قد لا ينقصهم العقل ، ولا التخصص ، ولا القدرات المالية ، ولا غيرها ، وإنما الذي ينقصهم القدرة على الخروج من دائرة التحكم ، وإعادة تشكيل العقل المسلم وفق النسق الإسلامي ، والمنهج الإسلامي ، والفاعلية الإسلامية ، والهدف الإسلامي ، ليكون العلم والمعرفة في خدمة الرسالة والفلسفة الإسلامية . . ينقصهم التشكيل الثقافي ليصلوا إلى مرحلة جعل العلم في خدمة العقيدة . . فكثيراً ماتفوّق المسلم في جامعات الغرب علمياً على اليهودي ، وكانت درجاته أكثر تميزاً ، لكن اليهودي يبقى أكثر فاعلية وتأثيراً ، وماذلك إلا لغياب التشكيل الثقافي السليم الذي يدع المسلم نسخة من كتاب ، بدل أن يكون إنساناً فاعلاً .

والحقيقة التي لابد أن ننتهي إليها : أن اليهود تاريخياً ، لم يقتصروا على صناعة الزعامات ، وإيصالها إلى الحكم ، والمكوث في ظلها كمستشارين وخبراء ، والتحالف معها ، وتوظيفها لتحقيق أهدافهم ، وإنما تجاوزوا تلك الصورة البسيطة إلى الوصول إلى مراكز التحكم والفاعلية ، وذلك بتوفير طاقاتهم للاختصاصات المؤثرة ، والمنابر الفاعلة التي تجعل من الدول والمؤسسات ، ذات النفوذ والقدرة ، في دائرة التحكم . . فالتحالف مع

الأقوياء ، لاينطبق على الأشخاص والدول والزعامات فقط ، وإنما التحالف مع التخصصات المتحكمة في المجتمع هو الأخطر أيضاً .

والكتاب الذي نقدمه اليوم : يعتبر محاولة وثائقية تاريخية ، ومعاصرة ، لرصد وتفسير المسالك اليهودية ، من الداخل ، كمدخل لابد منه للمعرفة ، التي تعتبر المقدمة الضرورية لكل أنواع التعامل .. لكن تبقىٰ المعرفة تشكل نصف المطلوب ، بينما يتمثل النصف الآخر في قدرتنا على توظيف تلك المعرفة ، والإفادة منها ، لحياتنا المستقبلية .. ونعتقد أن جذور تلك المعرفة متوفر في الرؤية القرآنية ، لو استصحبناها ، إضافة إلى الشواهد التاريخية ، والواقعية التي عرض لها الكتاب ، والتي تؤكد خلود الرؤية القرآنية ، وصوابها .. ولو كنا في مستوىٰ إسلامنا وعصرنا ، لأمكننا أن نحقق المناعة الحضارية والثقافية ، وأن نحمل للعالم الرحمة والخير ، ونقضي على نزعات التعصب والعنصرية ، والتمييز ، فدين الله سبحانه أسمىٰ من أن يكون وسيلة للظلم ، والتمييز ، وإلغاء حرية الاختيار ، وتسليط الإنسان على الإنسان ..

مقدمة

خلال عملي في التدريس ، وإشرافي على بعض الرسائل العلمية ، التي تبحث في قضايا اليهود والصهيونية ، ومن خلال قراءتي للتوراة ، تكون لدي انطباع بأن في حياة اليهود ـ قديماً وحديثاً ـ ظواهر غريبة ، حاولت جمعها ثم تفسيرها ، وإقامة الدليل على صحة ما ذهبت إليه .

فاليهودي حيث حل يحن إلى فلسطين ، ويريد الهجرة إليها ، بل يدعو غيره إلى ذلك ، وقد يتبرع له ويعاونه ، وفي بعض البلاد كروسيا ، صارت قضية الساعة ، فما من مفاوضات على أمر ، إلا وهجرة اليهود في مقدمتها ، فساعة تقايض بالقمح ، ومرة بالتكنولوجية ، ومرة تحشر مع نزع السلاح ، وما خفي أكبر وأكبر .

فإذا سمح الروس بهجرة بعض اليهود ، ووصل عشاق فلسطين إلى أول محطة ، هناك تبخر « العشق » وتدير الأكثرية ظهرها إلى فلسطين ، لتتوجه إلى أمريكا وأوروبا . فكيف نفسر هذه الظاهرة ؟؟ .

اعتقاد اليهود بأن كافة الشعوب تختزن قدراً من اللاسامية ، بحيث تضطهد اليهود أينما حلوا ، كيف نفسر ذلك ؟؟

عشق اليهود للقوة ، وتطلعهم الدائم لمحالفة الأقوياء ، كيف نفسره ؟ لماذا يحالفون الإنكليز ثم يحاربونهم ؟ ، يحالفون المسلمين ثم ينقلبون عليهم ؟ يحالفون فرنسا ثم ما يلبثون قليلاً حتى يتحولوا إلى إنكلترا ثم أمريكا ؟.

الأحزاب والجماعات المعادية لليهود ، وجد دوماً بين أعضائها يهود ، حتى الجماعات التي شاركت بالاعتداء على اليهود وجد بينها يهود ، فما التفسير ؟؟ .

هذه القضايا وأمثالها كثيرة جداً ، من بينها إسناد كل شر لليهود ، فهم وراء إثارة الحروب ، وهم دعاة الشيوعية ، والثورة الفرنسية ، وهم أرباب المال ، وأصحاب البنوك ، وأساطير الرأسمالية . لقد صار اليهود « سلة » فكل من يعجز عن تفسير واقعة يرميها في سلة اليهود .

ولو درسنا ما قاله بعض مؤرخينا عن « عبد الله بن سبأ » لأمكننا القول : بأن ما أسند إليه يحتاج إلى جيش كامل ، وليس في قدرة فرد ، مهما أوتي من قدرة وذكاء .

ولو درسنا ما يقوله اليهود عن أنفسهم ، وما يتميزون به ، وبالمثل ما تتميز به أرض فلسطين ، لرأينا العجب العجاب ، مما لا مثيل له في التاريخ .

والصهيونية ذلك الوليد الذي نشأ وترعرع في أوروبا ، في القرن

التاسع عشر ، والتي شهدت هيجان الاستعمار ، وانتشاره بحيث شمل ٨٥٪ من مساحة الأرض ، والذي استخدم العلم ، وأنشأ فلسفة لتبرير كل تصرف ، ماذا استفاد منه هذا « التلميذ النجيب » ؟ ماذا استعار من منطقه وماذا ترك ؟ ماذا أعجبه في الأستاذ وما لم يعجبه ؟

كل هذا حاولت رصده ، ثم حاولت تفسيره ثانياً ، وبعد ذلك سقت الأدلة على ما اعتقدت أنه التفسير السليم . لم أنطلق من أن كل اليهود أشرار ، بل حاولت تلمس الموضوعية جهد ما أستطيع ، ولم استسغ التهم والمبالغات ، التي تسند كل شر لليهود ، كذلك لاحظت أن ثمة اعتقادات معينة ، مع بعض الممارسات ، جعلت اليهود يتعرضون للنقمة ، ثم وجدت شعوباً أخرى في شرق أفريقيا وغربها ، تقع في نفس الحفرة ، فتنصب عليها عين النقمة ، فخرجت باستنتاج ، بأن بعض الأفعال والمعتقدات هي سبب النقمة على اليهود ، وليس ذلك مرتبط بالدين أو الجنس ، وبإمكان اليهود تجنب ذلك إذا أرادوا ، وأما الربط بين الدين والجنس ، فلا صحة له . وقد وجدت « الصهاينة » قد استعاروا من الاستعمار الغربي منطقه ، فراحوا يفلسفون حقوقاً لهم ، يرفضها المنطق والوجدان ، كما وجدت اليهود يجرون على المشاريع الاستعمارية بعض التحوير ، لتناسبهم بشكل أفضل .

وأخيراً لقد قام الصهاينة بهجمتهم علينا ، وتحدونا في عقر دارنا ، دون أن يصدر منا شيء يؤذيهم ، فصاروا من أكبر التحديات التي نواجهها في حاضرنا ، وربما في مستقبلنا ، وقد فرضوا عدوانهم علينا

فرضاً ، ومن منطلق القوي الذي يريد تحطيم إرادة خصمه ، يحاولون بكل السبل تفريقنا ، وزرع الشك بيننا ، وإقناع حكامنا بأن الخطر على كراسيهم ليس من إسرائيل ، ولكن من العناصر الإسلامية المتطرفة ، ويبدو أن الكثير صدق هذه المقولة ، خصوصاً وأنهم أجروا الكذبة على لسان صنيعتهم « هيغ » وزير خارجية أمريكا السابق ، والذي أثبت أنه أكثر صهيونية من زعماء الصهيونية .

فمن أجل فهم هذا « المتحدي » فهماً جيداً ، بعيداً عن « التهويل أو التهوين » أقدم هذا الكتاب .

لقد اتسمت علاقاتنا بالصهيونية حتى حرب ١٩٦٧ بالتهوين الكامل ، فهم شراذم ، وعصابات ، وشذاذ آفاق ، وكلاب حراسة . . . الخ .

وبعد هزيمة ١٩٦٧ تبدل العزف والآلات ، فانتقلنا ـ دون مقدمات ـ من التهوين إلى التهويل ، ومن يقرأ المقالات التي كتبها « هيكل » يشعر بأنه من المستحيل إلحاق هزيمة بالصهاينة وجيشهم ، وهنا نتذكر جنرالاً عسكرياً متواضعاً خجولاً ، لم يقف في حياته أمام عدسة تلفزيون ، قد حارب اليابانيين فهزمهم ، ثم حارب الفرنسيين فدحرهم ، وجاء الأمريكان يجربوا حظهم ، فلطخ وجوههم بالطين ، وأخرجهم مهزومين . لقد حارب بجيش أسلحته بدائية ، وقد وصف « موشي دايان » في مذكراته ذلك الجيش من الحفاة ، الذين كانوا يسيرون على أقدامهم ثلاثة أشهر ، فيهزمون الجيش الأمريكي ، بكل ما لديه من ترسانة سلاح ، وتقدم علمي .

إن الجنرال « جياب » أثبت حقيقة حاول « هيكل » بكل قواه

قتلها واغتيالها وهي : إن الحرب إرادة قبل أن تكون سلاحاً وعتاداً .

ويوم كنا أمة حرب ، لا رجال انقلابات وتحالفات في الظلام ، يوم ذاك جاء سعد بن أبي وقاص ، ومعه رجال الصحابة ، وجلهم لم يكن رأى نهراً في حياته ، ووقف الجيش الإسلامي على « دجلة » وكان فائضاً ، وقد سحب الفرس الجسر ، فأمر « سعد » جيشه بدخول النهر والسباحة ، للاصطدام بجيش الفرس على الطرف الآخر من النهر ، وخرج الجيش من النهر ، فلما رأى الفرس ذلك سقط في أيديهم ، وانتهت المعركة قبل أن تبدأ .

انهزم الفرس وهم يصرخون « مجانين مجانين » .

وفي هذا المد الروحي العظيم ، تقدم ابن أم مكتوم الأعمى ، يطلب أن يشارك في الحرب ، على أن يكون حامل الراية .

فإذا كان هذا « تطلع » الأعمى ، فكيف كان غيره ؟؟ .

وعلى يد « أبطال الانقلابات » حاربنا ستة أيام ، وقال أحدهم : انتظرناهم من الشرق فجاؤونا من الغرب ! إن معرفة « العدو » معرفة دقيقة ، بعيدة عن كل تهوين أو تهويل ، هذه المعرفة ضرورية ، من أجل التعامل معه على هدى ونور .

قرأت في كتاب « الحرب من أجل السلام » لعيزرا وايزمن أنه حين كان وزيراً للدفاع ، ظهرت بوادر في مصر تدل على رغبتها في السلام ، فألف لجنة من استخبارات اليهود ، واستخبارات بعض الدول ، وفريق من المستشرقين ، واستمرت الدراسة عاماً كاملاً ، ثم جاء بعد ذلك القرار . وهكذا يكون العمل .

أنا أكتب ـ وهذا ما أحسنه ـ من أجل فهم أفضل لهذا العدو ، الذي فرض علينا فرضاً ، والذي يسند ظهره إلى أكثر من جدار ، والذي ما زال يلعب لعبة الشيطان ، حين أراد أن يغني ، فعز عليه ذلك ، فقرر أن يدخل في رأس الحمار ، ويحسن له الغناء .

إن الكثير من سوء العلاقات الناشيء بين حكامنا وشعوبهم ، يعود لذلك « الهمس الخفي » الذي تمارسه « الحمير » بعد أن دخلها الشيطان الصهيوني ، فجعلها تغني تارة ، وتخترع معلومات تارة ، تحذر من متطرفين لا وجود لهم ، إلا لدى الشيطان وحميره . إن مشورة من رجل مثل « كيسنجر أو هيغ » كافية لقيام حرب وذبح شعب ، وإفساد علاقة بين حاكم وشعب ، إلى ما لا نعلمه ، مما ينبت في السر ويموت كذلك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

الفصل الأول

اليهود والظواهر الغريبة

منذ أقدم العصور والبشر يترك مسقط رأسه ويهاجر إلى أماكن أخرى، وبعد جيل أو أكثر ينسى هؤلاء وطن الآباء، ولا يجدون شوقاً إليه ولا رغبة في زيارته.

هذه الموجات البشرية التي خرجت من شبه جزيرة العرب لتستوطن أطرافها، نسيت موطنها الأصلي كلياً. ومثلهم القبائل الجرمانية التي توجهت إلى جنوبي أوروبا. وهؤلاء سكان أمريكا وأستراليا خير شاهد.

ولكنّ أمة واحدة جاءت شاذة هم «اليهود» فعلى الرغم من أنهم جاؤوا لفلسطين من بلاد أخرى، إلا أن نوعاً من «العشق الصوفي» ظل مشتعلاً في نفوس اليهود نحو هذه الأرض، وقد

مضت قرون وقرون وهذا «العشق» لم يمت بل هو يتوهج، فما الذي يذكي جذوة هذا الحب؟ هذا صبي اسمه «بروخوف» يتفق مع صبي آخر فيتركان مدينة (بولتافا) في روسيا ويتوجهان مشياً إلى فلسطين، ثم يعثر عليهما بعض معارفهما ويردهما إلى ذويهما.

ثم لا يلبث الصبي أن يجمع بعض النقود ليكرر نفس العملية الفاشلة ويمر الزمن ويكبر الصبي ويصبح ثورياً ماركسياً متعصباً، ولكنه لا ينسى فلسطين، ولا تغيب عن قلبه[1] (لقد انضم مؤسس بولي صهيون (بروخوف) إلى صفوف الثوريين الاشتراكيين الديمقراطيين في روسيا، واعتنق بحماس الفلسفة الماركسية، ولكنه طوال ذلك لم يغمض عينيه عن فلسطين، كنهاية المطاف للخلاص اليهودي، لم ير فلسطين قط، وكانت معلوماته عنها محدودة جداً... ومع ذلك فإن ذلك القطر ظل مركزاً لاهتمامه ونضاله طيلة حياته السياسية) فما سبب ذلك؟

وهذه صبية ولدت في وسط روسيا، هاجر أبوها إلى أمريكا؛ ثم لحقت به مع أمها وأختها، حتى ألقت عصاها في نيويورك، تدفع رشوة هنا وهناك حتى تصل، كل ذلك قبل عام ١٩٠٠ م.

---

(١) تكوين الصهيونية خالد القشطيني ص ٦٨ الطبعة الأولى.

وفي نيويورك تقف الصبية الماركسية لتخطب باليهود حين يخرجون من الكنيس، حتى أن والدها ليشعر بالخجل ويهددها إن هي وقفت على الصندوق وتكلمت ليسحبها من شعرها ثم ينزلها، لأنه كيهودي لا يحتمل مثل هذا العار.

بعد مدة تنقطع عن الدراسة وتهاجر إلى فلسطين، تاركة عائلتها، وتنضم إلى مستعمرة زراعية في الجليل حيث الملاريا، والشرب من الزير، والاستنارة بمصباح النفط وعدم توفر حتى الدوش والسلك على الشباك.

هذه الصبية الماركسية ما الذي اقتلعها من أمريكا ورماها في الجليل حيث المستنقعات والبعوض والملاريا والعمل الشاق؟.

تقول كولدا مائير[1]: (لا أنسى أبداً تلك الأيام التي مرت علي وأنا في (الكيبوتز) وكيف كنت أعود للبيت مساء كل يوم، وبالكاد استطيع رفع أصابعي إلى فمي لتناول الطعام... لقد كان تركي غرفة الطعام أسهل علي من رفع يدي بالشوكة إلى فمي...) وذلك لأن العمل كان شاقاً وفي ظروف صحية سيئة، تصفها بقولها[2] (... تتفشى الأمراض

---

(١) يوميات قادة العدو جولدا مائير ص ٧٧ الطبعة الأولى.

(٢) يوميات قادة العدو جولدا مائير ص ٧٩.

بين معظم العمال، كالملاريا، والدزنتاريا وحمى البباتاشي، رلعل ممارستهم السباحة في المستنقعات، وتناولهم للطعام دون غسل أيديهم، بعد العمل من الأسباب التي ساعدت على تعاظم انتشار الأمراض) وتصف شعورها قائلة[1] (لا أتضايق إذا ما أخذ الجزار ورقة من الأرض ولف بها اللحم الذي آكله، الواقع كان هناك نوع من التعويض عن هذه الصعوبات هو وجودي في المكان الذي أحببت، أي في البلد اليهودي الوحيد في العالم، حيث الجميع يشعرون بنفس الشعور، ويشاركون بتحقيق نفس الأهداف، سواء أكانت ماضية أو حاضرة، من سائق الأتوبيس إلى كبار الملاك، الكل يسرعون لبيوتهم للتحضير من أجل عطلة السبت، وبالرغم من أننا قدمنا من بلدان مختلفة، ونتكلم لغات عدة، ولنا ثقافات وعقائد مختلفة، كنا إخوة، وندين بالولاء لبعضنا، ويربطنا رباط مقدس وهو فلسطين، فهي المكان الوحيد الذي يجب أن نعيش فيه، هرباً من حياة المكابدة والعناء، هنا فقط يستطيع اليهود أن يكونوا أسياداً لا ضحايا القدر).

هذا كلام واحدة روسية الأصل أمريكية الثقافة، تصف نفسها بأنها ماركسية العقيدة. وهي تقول عن نفسها[2] (لست

---

(١) المصدر السابق ص ٧٢ .

(٢) تكوين الصهيونية ص ٢٤٥ .

متدينة ولكني أعلم بأنه لولا الدين لاختفينا من الوجود). فما رأي بعض الحكام العرب بهذا؟؟.

وتصف نساء المستعمرة - وهي منهن - وما يلبسن فتقول[1] (الفتيات كن يرتدين نوعاً من الثياب الخشنة، المصنوعة بأيد عربية، حيث يجعل للثوب ثقوب ثلاثة، واحد للرأس، واثنان لليدين، ويشد الوسط بحبل...).

هذه عباءة من الصوف يصنعها الفلاحون، وتحاك بالنول وهي خشنة قاسية لا تلبسها حتى نساء الفلاحين، بل هي للرجال فقط.

وهذا (جابوتنسكي) الملحد وأستاذ بيغن يكتب لأخته رسالة يقول فيها[2]: (... بعد سنوات من العواصف والأهوال، ربما ضمن حياتي وحياتك، ستظهر فلسطين يهودية، مكتظة بالسكان على ضفتي النهر الأردن، أما هل سيكون ذلك البلد مكاناً مريحاً أم لا، فهذا موضوع آخر).

وهذا شبتاي بن زفي يعلن في تركيا أنه المسيح المخلص، فيصدقه على الفور يهود اليمن، حتى راحوا يبيعون أثاثهم استعداداً لذلك، وفي نفس الوقت كان اليهود

---

(١) يوميات قادة العدو جولدا مائير ص ٧٩.

(٢) تكوين الصهيونية ص ٦٩.

يقفون في شوارع أمستردام، فلما سألهم الهولنديون عن سبب وقوفهم قالوا: نحن ننتظر المخلص وقد ظهر.

ومعلوم أن كثيراً من الصلوات اليهودية تنتهي عادة بعبارة: (في العام القادم سنلتقي بفلسطين).

حتى الأموات الذين يبعثون يوم القيامة، من كان منهم في فلسطين فسينهض كالعشب إذا نزل عليه المطر، أما من كان خارج فلسطين فعليه أن يزحف على بطنه عبر فجوات الأرض، كي يصل إلى الديار المقدسة[1]. وخبز فلسطين ما طعمه[2]؟ (إن الخبز في أرض اسرائيل له من جودة الطعم ما يجمع كل النكهات الطيبة لكل ما على الأرض من طعام) هذا مع العلم بأن الطحين اليوم أمريكي، والعامل عربي، فمن أين تأتيه هذه «الجودة»؟

في عام ١١٧٩ كانت جماعة من اليهود مسافرة من كولونيا في ألمانيا وبمحاذاة نهر الراين، ووجدت على الطريق امرأة نصرانية قتيلة، فاتهمت حكومة الولاية اليهود بقتلها، وخيرتهم بين القتل أو اعتناق النصرانية، ولما لم يستجيبوا لطلب

(١) المصدر السابق ص ٦٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٦١ .

الحكومة قامت بإلقائهم جميعاً في نهر الراين(١). لقد فضلوا الموت غرقاً على الردة، وترك دينهم.

ثقـة بالنفـس أم غـرور ؟

إذا تحدث إنسان عن نفسه بشيء من الاعتزاز، فيمكن أن يقول صديقه: هذا إنسان واثق بنفسه، أما عدوه فيصفه بأنه مغرور. واليهود عموماً يتحدثون عن أنفسهم وكأنهم من طينة خاصة، فهم فوق البشر جميعاً، أليسوا من شعب الله المختار، الذي انتقاه من بين سائر الشعوب؟ الواقع أن اليهود ما زالوا يسعّرون هذه الجذوة، ولا يسمحون لها أن تخمد، فهي كنار المجوس، يجب أن تبقى مشتعلة أبداً.

وهذه بعض الأقوال التي تكشف عن هذا التصور أو تفلسفه:

١ ـ آحاد هعام: وهو اسم مستعار للكاتب الروسي (أشر غنزبرغ) ١٨٩٨ م، هاجر إلى فلسطين مع أوائل المهاجرين، ثم اختلف مع الصهاينة وهاجر إلى أمريكا. يقول هذا الكاتب(٢): (من الطبيعي أن يسلم بحقيقة وجود درجات كثيرة في سلم الخليقة، مروراً بظهور الكائن غير العضوي

(١) الشخصية الإسرائيليه ص ٧٢ د. حسن ظاظا الطبعة الأولى.
(٢) الصهيونية حركة عنصرية مؤتمر طرابلس ص ٣٦ طبعة أولى.

فالنباتات، والمخلوقات القادرة على النطق، يتقدمها جميعاً الجنس اليهودي). لماذا هذا التقدم وما الدليل؟

ويحاول أن يعلل ذلك فيقول[1]:(بقينا ثلاثة آلاف عام يهوداً ولم يكن في وسعنا أن نكون غير ذلك، لأن هناك قدرة قوية عليا ربطتنا إلى اليهودية، وهكذا فإن اليهودية حية في أعماقنا، وإلى جانبها كل الغرائز والمواهب الطبيعية التي تتطور في أعماقنا منذ ولدنا).

إذا كان الأمر كذلك فلا فضل لليهود، بل الفضل للقدرة العليا.

٢ - يرى أ. بارتال[2] (أن الثقافة اليهودية هي روح الشعب اليهودي، وهي في الحقيقة القوة المحركة، إنها الداينمو القائم من وراء الثقافات الأخرى، ولا سيما الثقافات الأوروبية).

إذا سلمنا بأن الثقافة اليهودية، هي روح الشعب اليهودي، فما الدليل على أن هذه الثقافة هي المحرك للثقافة الأوروبية؟؟.

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية مؤتمر طرابلس ص ٣٧ طبعة أولى.
(٢) الصهيونية حركة عنصرية مؤتمر طرابلس ص ٣٧ طبعة أولى.

الذي نعلمه أن بعض الذين خرجوا على اليهودية، قد قدموا نظريات وأفكاراً، فهل يقصد الكاتب هؤلاء؟

٣ ـ ولقد ذهب «موسى هس» ملك العنصرية لأبعد من ذلك حين قال[١]: (إن خروج اليهود من أوروبا سيحرمها من عطاء اليهود الأخلاقي، ولكن تجميعهم في فلسطين سيخلق القاعدة التي تعلم الغرب دروساً في الحياة). فما هي تلك الدروس؟؟.

٤ ـ ويرى نوردو[٢] (أن اليهودي يمتلك من الجرأة والكفاءة أكثر مما يمتلكه الأوروبي العادي المتوسط، ناهيك بالأسيويين والأفريقيين).

والسؤال: هل ينطبق ذلك مثلاً على يهود اليمن والفلاشا؟؟

شهادة جولدا مائير عن مهاجري اليمن أنهم كانوا أميين قذرين، يرفضون استعمال الحمامات ولا يجيدون صنعة ولا حرفة.

ومثلهم يهود إيران كما وصفهم الصحفي اليهودي سجيف

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٥٨ .

(٢) الصهيونية حركة عنصرية ص ٣٨ .

في كتابه (المثلث الإيراني، العلاقات السرية الاسرائيلية الإيرانية الأمريكية).

٥ - يقول مارتن بوبر[١] (إن الاسرائيليين شعب فريد، يختلف عن بقية الشعوب الأخرى، فهو الشعب الوحيد الذي يعتبر شعباً، وفي الوقت نفسه يعتبر مجتمعاً دينياً، وكل من يقطع العلاقة بين هذين العنصرين، يقطع حياة إسرائيل نفسها). وهل يصدق أحد أن يهود روسيا وألمانيا وهولندا وأمريكا والفلاشة ويهود إيران والهند وسرلانكة والصين، واليهود الأتراك والعرب والأكراد، كل هؤلاء ينتمون لشعب واحد؟؟

إنهم طائفة دينية، جمعت عدة شعوب، كما جمع الإسلام والنصرانية شعوباً عدة.

٦ - ويذهب حاخام كيمبرج نفس المذهب فيقول[٢]: (إن الشعب اليهودي شعب منفصل، لا شأن له بما يجري لدى بقية السكان الإنكليز) لذا فهو يعارض في دخولهم البرلمان وقد وصف اللورد (أشلي) بعض اليهود بالكفار، لأنهم يفضلون الجلوس في مقعد في مجلس العموم، على الجلوس تحت أشجار الكرم والتين في الأرض المقدسة.

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ٤٨ .

(٢) تكوين الصهيونية ص ٢٣٨ .

وحذر (شختر) من اندماج اليهود، معتقداً بأن ذلك يؤدي للكفر، وقطع علاقة اليهودي بالكنيس[1].

٧ ـ تحدث «موشى أرين» الاشتراكي أمام البرلمان الإسرائيلي فكان مما قال[2]: إنه كاشتراكي لا يؤمن بالدين، ومع ذلك فإن إيماننا العميق، الذي لا يقوم على أي أنظمة أو برامج حزبية، يؤكد بأن اليهودي الذي يعتنق ديناً آخر، يقطع بعمله هذا علاقته بالمجموعة وبالشعب، نظراً لأن الدافع لذلك ليس الإيمان ولا المعتقد، وإنما الرغبة في الهروب من مصير الشعب ومعاناته ونضاله.

والسؤال: هذه خطبة لعلماني اشتراكي أم موعظة من حاخام في الكنيس؟ وما الدليل على أن الدافع وراء تغيير الدين هو الهروب؟؟

٨ ـ يتحدث ملك العنصرية (هس) حديثاً غريباً فيربط بين إصلاح الأرض، وتقديم العالم الولاء لليهود فيقول[3]: (سيعيد رأسمالكم الحياة للأرض القاحلة، ويحول عملكم وجهدكم مرة أخرى التربة القديمة إلى وديان مثمرة، بعد أن

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٢٣٩ .
(٢) تكوين الصهيونية ص ٢٤٥ .
(٣) الصهيونية والعنصرية مؤتمر بغداد ص ١/٨٩ طبعة أولى

تنقذوا الأرض من براثن رمال الصحراء الممتدة، بعد ذلك سيقدم لكم العالم من جديد آيات الولاء والاحترام) هل كل من يصلح أرضه ويزرعها يقدم له العالم الولاء أم ذلك خاص باليهود؟ وما هو السر وراء ذلك؟.

٩ ـ يقارن «روبين» بين اليهود وغيرهم، فيرى أنه غير اليهود (قد يمتلكون بعض جوانب التفوق أما اليهود[١] (فيما يتعلق بالمواهب الذهنية فاليهود شعب لا يُعلى عليه) ومرة ثانية هل يشمل ذلك يهود اليمن والفلاشا ويهود ايران؟؟

١٠ ـ أما هرتزل الذي طالما وصف اليهود بأقبح النعوت فيرى أن اليهود عليهم أن ينقلوا للعالم أشياء كثيرة[٢] (كم هي إلهية الأشياء التي علينا أن ندخلها في رؤوس الشعوب الأخرى) علماً بأن الرجل ملحد.

إلا أن محامي اليهود سارتر له شهادة يقول فيها: إن اليهود متهمون بثلاث تهم كبرى، وهو يؤيد هذا الاتهام، ويدافع عنه فيقول: يتهمهم العالم بمحاربة الوحي ونشر العقلانية بدله، وبجمع المال وتكديسه، وبتعرية الأجساد، وللحقيقة فإن العالم يتهمهم بأكثر من ذلك، كنشر الربا، والفساد الخلقي ومحاربة الأديان.

---

(١) الصهيونية والعنصرية ص١/١١٩ .

(٢) الصهيونية والعنصرية ص ١/١١٩ .

١١ - ويرى «موسى همس»[1] أن الشعب اليهودي ليس موهوباً بذكائه وثقافته فقط، بل هو أيضاً متفوق في الزواج، وأن الحب الأمومي عنده متغلب على الحب الجنسي، بل إن القلب اليهودي وحده يستطيع أن يفسح مجالاً للحب الحميم تجاه العائلة، واليهود وحدهم قادرون على الارتقاء روحياً علماً بأن الرجل عالم أنتربولوجي مشهور. فماذا بقي للبشرية بعد هذا؟؟ ألا يمكن أن يدعي «هس» بأن غير اليهود لا عواطف لهم، أو يتنفسون من منخر واحد، أو يولدون بلا عقل؟؟.

١٢ - علق الحاخام (راشي) على خلق الكون في التوراة فقال[2]: (إن الله يخبر اسرائيل والعالم أنه هو الخالق، ولذلك فهو صاحب ما يخلق، يوزعه كيفما يشاء، فإذا قال الناس لليهود أنتم لصوص، لأنكم غزوتم أرض إسرائيل وأخذتموها، فإنه يمكن لليهود أن يجيبوا بقولهم: إن الأرض مثل الدنيا ملك الله وهو قد أعطاها لنا).

بناء على هذا المنطق، يمكن القول بأن من يسرق مال يهودي أو يأخذه، أن يقول مثل كلام الحاخام راشي. وأفضل

---

(١) الصهيونية والعنصرية ص ١/ ٢٤.
(٢) الصهيونية والعنصرية ص ١/ ٢٠٠.

من هذا وذاك أن نردد قوله تعالى[1] **﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾**.

١٣ - وأختم بما قاله عبد الوهاب المسيري[2] (إنهم جميعاً يتفقون على مفهوم «الشعب اليهودي» وأنه شعب غريب عن غيره، فريد في نوعه، مقدس في طبيعته، غير أن مصدر هذه القداسة يختلف من فئة إلى أخرى، فهو إلهي بالنسبة للمتدينين، وذاتي النشأة بالنسبة لغير المتدينين).

١٤ - وأخيراً فقد ورد في التلمود وتكرر كثيراً[3] (كما أن العالم لا يمكن أن يعيش بدون هواء، فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل).

وقد عاش العالم ألوف السنين بدون إسرائيل، وغداً أو بعد غد سيكون سعيداً بانقراضها وزوالها.

وترد في أدبيات اليهود ألفاظ ومصطلحات غريبة[4] مثل «عام عولام» الشعب الأزلي و «عام نيصح» الشعب الأبدي.

---

(١) سورة الأعراف /١٢٨ .

(٢) الصهيونية والعنصرية ص ١/١١٩ .

(٣) الشخصية الإسرائيلية / د. حسن ظاظا ص ٩ ط ١ .

(٤) الشخصية الإسرائيلية / د. حسن ظاظا ص ٣٨ .

١٥ ـ وإذا كان كل مما تقدم يشكل مدحاً لليهود، فهناك نص لأرميا الكاهن يسود تاريخهم جميعاً فهو يقول[١]: (مثل خزي اللص إذا وقع، هكذا خزى آل إسرائيل ، هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم، إذ يقولون للخشب أنت أبي ، وللحجر أنت والدي، لأنهم أداروا نحوي قفاهم لا وجوههم، وفي وقت مصيبتهم يقولون قم وخلصنا. فأين آلهتك التي صنعت لنفسك؟ فليقوموا إن استطاعوا أن يخلصوك في وقت بليتك. لأنه قد صارت آلهتك بعدد مدنك يا يهوذا. لماذا تخاصمونني؟كلكم عصيتموني، يقول الرب. ضربت أبناءكم بلا فائدة، إذ لم يقبلوا تأديباً. سيفكم أكل أنبياءكم كأسد مفترس.

وكان أرميا ممن قتله اليهود من الأنبياء.

١٦ ـ يتساءل الكاتب الصهيوني «يوسف حييم يريبر».

[٢] من أين أتى هذا الاحتقار من جانب اليهود .. للأغيار.. والشعور بالسمو عليهم؟ هل كان اليهودي عديم الشعور حقاً، وميتاً إلى درجة لم يشعر معها أن حياة «الأغيار»

---

(١) أرميا (٢ / ٦ ٣٠) .
(٢) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية / د . رشاد الشامي ص ٣٢ طبعة أولى .

أكثر غنى وأكثر جمالاً من حياته؟ كلا، إن هذا مستحيل، ولا نستطيع أن نصدق هذا، فإذا كان هناك، احتقار للأغيار، فلم يكن ذلك سوى حسد طبيعي، يشعر به الفقراء تجاه الأغنياء، والرهبان تجاه الفرسان، والعاجز تجاه القادر، إن هذا الاحتقار لم يكن سوى، استسلام لنصيبنا في الدنيا، وأحياناً نوع من العزاء لآمالنا في العالم الآخر، يتلوه صرير أسنان، وغضب داخلي عن وعي أو غير وعي).

١٧ - وأختم بما وصف به فولتير اليهود وحيث قال[١]: (إنك لتجد فيهم مجرد شعب جاهل ومتوحش، زاول لمدة طويلة أخس أنواع البخل، وأبغض أنواع الخرافات، ويحمل كراهية لا تعادلها كراهية لكافة الشعوب التي تسامحت معه، وكانت سبباً في ثرائه).

ظواهر غريبة

في حياة اليهود عموماً والصهاينة خصوصاً ظواهر غريبة، فقد قامت إمبراطوريات وسقطت، وتقدمت أمم وشعوب ثم اختفت، وبقي اليهود كما هم، يدرس الحاخامات التوراة والتلمود ويكتبون، وكأن شيئاً لم يتغير منذ ألوف السنين.

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .

[1](تقيد التفكير وانحصر بالتأمل في الماضي ودراسته مرة بعد مرة، وإطالـة النظر في نصـوص الأقدمين ومـا خلفوه من معضلات وألغاز ذهنية).

وقـد أصاب تـوينبي حين وصف حال اليهـود بالتحجـر والجمود.

حتى إن كاتباً مثل (آحاد هعام) يدعو قومه إلى الرجوع إلى أيام القبائل العبرية القديمة، وعصور «سفر التكوين» أيام كانوا بدواً لم يعرفوا من الحضارة شيئاً.

وقد لاحظ واضعو تقرير لجنة «بيل» البريطانية أن الهروب من الواقع هو ميزة القومية اليهودية[2].

معلوم أن التمسك بالماضي ظاهرة عامة في الديانات، ولكنه في اليهودية، يشكل ظاهرة ملفتة للنظر. فعلى مدى أكثر من ألفين وخمسمائة عام مثلاً، لم تظهر بين اليهود حركة إصلاحية، أو تقوم بينهم مذاهب مختلفة متعددة، أو يحصل تطور جذري، وطوال هذه المدة ظل الحاخامات يتحكمون في كل شيء[3] واليوم تزداد سلطتهم ويتسع نفوذهم. هذه قضية أولى.

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٥٥ .

(٢) تكوين الصهيونية ص ٥٥ .

(٣) تكوين الصهيونية ص ٥٥

١ ـ الشعور بالأُخوة

ظل اليهود يشعرون بأخوتهم، وكونهم أبناء شعب واحد، رغم التفرق والشتات واختلاف الجنسيات والأوطان، وتقادم العصور، وقد صعب على الكثير تفسير هذه الظاهرة. وكما قالت (مائير) فهو شعور مشترك، بل هناك صلات بينهم لم تنقطع، فحين قام «شبتاي بن زفي» مدعياً أنه المسيح المخلص، استجاب له يهود اليمن وهولندا، بل قام اليهود في اليمن بتظاهرة، وطالبوا نائب الإمام أن يسلم لهم الحكم، قائلين إن دولة الإسلام قد انتهت، وجاء دور اليهود، وقدموا أحدهم بعد أن ألبسوه ثياباً بيضاء من حرير، فما كان من نائب الإمام إلا أن حقق معه، فلما تبين له أنه غير مختل العقل، حكم بقتله وصلبه، وظل معلقاً أكثر من عشرة أيام، إلا أن اليهود ظلوا يصرون على أن دولتهم ستقوم قريباً.

[1](وفي تعبيراتهم الشعرية أن الرب قد اتخذ «أمتهم» عشيقة له، بل إنه تزوجها زواجاً أبدياً، حتى إذا خانته ودنست شرف العلاقة التي بينها وبينه، لم يطلقها ـ كما يفعل أحقر مخلوق من البشر ـ ولكنه يكتفي بأن يغضب ثم يرضى،

---

(١) الشخصية الإسرائيلية / د. حسن ظاظا ص ٣٧.

وأن يعاقب ثم يصفح، فهى الأمة الحبيبة المعشوقة المدللة، التي تعلم مقدماً أن الرب لن يجرؤ يوماً ما على قتلها مهما أجرمت.... وتكثر في مثل هذا المعنى أقوال الأنبياء والكهنة والشعراء والحالمين والصوفية على مدى أجيال إسرائيل...) ١ هـ.

وقد كتب وايزمن إلى زوجته[1] (بأن جميع اليهود مسؤولون عن بعضهم وعلينا أنا وأنت، أن ندفع الثمن من أعصابنا عن خطايا الآخرين) وهذا «موسى هيس» يصف ما ينوء به قومه من حمل ثقيل فيقول[2] (لا يمكن التخلص من عبء اليهودية، وفكه من كاهل اليهود والتقدميين، حتى يتحرر الشعب اليهودي، من ذلك الحمل الذي ناء به ببطولة لآلاف السنين، علينا جميعاً واجب حمل عبء مملكة السماء حتى النهاية).. والسؤال: ما هذا العبء، ومن حمّله لليهود؟؟

أما (سولنسكين) فيرى أن وحدة اليهود فريدة في العالم[3] (قامت وحدتنا بأسلوب مختلف، وبصيغ مختلفة، مما ألفته بقية الشعوب الأخرى) والغريب في الأمر أنه ينفي بقوة أن

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٣٧ .
(٢) تكوين الصهيونية ص ٦٧ .
(٣) تكوين الصهيونية ص ٦٧ .

تكون «الأرض أو التوراة أو اللغة» هي التي صاغت هـذه الوحدة، ويردها إلى أنهم شعب روحي، وكأن الأرض خالية من شعب روحي، وليس على وجهها سوى اليهود.

إن أتباع الديانات كافة يمكنهم أن يدّعوا مثل هذا وأكثر منه، فما هذا الإعجاب بالنفس؟؟

بل إن أصحاب المذاهب الوضعية يمكنهم أن يقولوا مثل هذا، دون أن يكذبوا أو يكذبهم أحد.

٢ ـ فقـــدان الرغبـة فـي الحـوار

شهد تاريخ العالـم ألواناً من الحوار الودي والساخن، بين الأمم والشعوب، ولكن اليهود لم يساهموا أو يشاركوا في ذلـك، والتزمـوا دور المتفرج، أو الصـامت الحذر، فهـل يخشون الحوار؟؟ أم يعتقـدون أن الشعوب الأخـرى دون مستواهم، فلا ثمرة ترجى من الحوار؟؟ من الواضح أن تقدير اليهود لوسائل الإعلام كبير جداً، واهتمامهم بها بات معلوماً لكل واحد، وهم يملكون من هذه الوسائل ما لا تملكه أمة أخرى، ومع كل هذا فهم يستعملونها لتقديم وجهة نظرهم، والترويج لما يريدون، ولمن يحبون، كما يستعملونها وسيلة

لحرب خصومهم وإرهابهم، وكان الحوار آخر شيء يفكرون به.

لدى اليهود شعور بأن جميع الأمم تعاديهم، بل تكرههم، وتختزن قدراً من «اللاسامية». وقد صاغت موسوعتهم الثقافية ذلك بأجلى عبارة [1](إن التحامل ضد اليهود، هو نوع من المشاعر الغريزية والطبيعية، التي تظهر في أي وقت يحتك فيه رجال من سلالات مختلفة بعضهم بالبعض الآخر).

فما أسباب التحامل ضد اليهود؟؟ ولماذا لا يكون مجرد شعور من اليهودي تجاه الآخرين؟؟

يذهب «ألن تايلور» في بحثه «الصهيونية بين النظرية والتطبيق» إلى أن الصهيونية تنظر للمجتمعات الأخرى نظرة عداء[2] (كانت الصهيونية تنظر دوماً، لشعوب الأمم الأخرى، كمجتمعات خارجية معادية على الدوام، ينبغي لليهود أن ينشئوا نظاماً متيناً لاتقاء شرها، والدفاع عن أنفسهم منها، فالدولة اليهودية هي المفتاح لأمن اليهود) وقد ذكر «القشطيني» في بحثه «الجذور الأيديولوجية للعنصرية الصهيونية» نفس المعلومة[3].

---

(١) الصهيونية والعنصرية ص ١/٢٢ .
(٢) الصهيونية والعنصرية ص ١/٧٥ .
(٣) الصهيونية والعنصرية ص ١/٢٢ .

أما هرتزل فيكشف عن نظرة اليهود لعموم الشعوب قائلاً[1]: (إن الشعوب التي يعيش اليهود بينها، هي بوجه عام شعوب لا سامية، وإن كان هذا الموقف سافراً لدى بعضها، ومقنعاً لدى البعض الآخر).

لماذا هذا الكره، لليهود بالذات؟؟

ويحدد «سيد ياسين» السمات الشخصية لليهود، فيصفها بالقلق والإحساس بالدونية والشك، وعدم الثقة بغير اليهود، وقد انتقلت هذه السمات إلى المجتمع الإسرائيلي في الوقت الحاضر، ويؤيد ذلك بعض الباحثين النفسيين الأمريكيين[2]

أما عالم النفس الإسرائيلي «روبنشتاين» فيرى أن اليهود يتسمون باتجاهات شك عميق الجذور تجاه الآخرين، وهذا الشك يسود العلاقات الشخصية، ويكشف عن نفسه في كل تفاعل مع العالم الخارجي، وهو على ثلاثة مستويات:

١ - شك موجه ضد العرب.

٢ - شك ضد العالم غير اليهودي.

٣ - شك موجه ضد النظم والأجهزة الدولية[3].

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ٣٥ .
(٢) الصهيونية والعنصرية ص ١/ ١٠٠ .
(٣) الصهيونية والعنصرية ص ١/١٠١ .

وترى العالمة الأميركية «مارجريت مين»[1] أن العامل الضروري دائماً للحفاظ على الهوية اليهودية، هو وجود جماعات من غير اليهود (فالشيء الوحيد الذي كان ضرورياً لتمييز جماعة من اليهود هو وجود بعض الأغيار).

كما وجدت انشغالاً كبيراً للإسرائيليين، بكل ما يتصل بالهوية والرسالة الخاصة لإسرائيل، وبوضع الشعب الإسرائيلي، الذي يختلف عن أي شعب آخر. وأعود إلى «كره اليهود». فما الذي يجعل العالم يكرههم، كما يحمل اليهود على الشك بغيرهم والنفرة منهم؟.

والذي أتصوره هو اجتماع أكثر من عامل واحد في ذلك:

١ - تعالي اليهود على غيرهم وتمسكهم بخرافة «شعب الله المختار» التي لا تقوم على العمل الصالح، بل على العنصر والدم.

٢ - رفضهم الاختلاط بغيرهم، وعدم أكلهم طعام «الأغيار» أو ذبيحتهم.

٣ - تعاملهم بالمال، واستيلاؤهم على البنوك،

---

(١) الصهيونية والعنصرية ص ١٠١/١ .

واستحلالهم الربا، على كافة المستويات، ومحاولة الكسب على حساب الآخرين.

فكل من يفعل ذلك يكون مكروهاً، ويحقد عليه. وقد وجدت خلال رحلات في أفريقيا، أن الهنود في شرقها، واللبنانيين في غربها، قد وقعوا في نفس المصيدة، فطردوا من أكثر من بلد، وصودرت أموالهم، وتعرضت للنهب والسلب، كما تعرض الأفراد للكره والازدراء. وما حل ويحل باليهود مأخوذ في هذه الزاوية، فكل من يزاحم شعباً في بلده في رزقه، ويستولي على أكثر الكسب الاقتصادي، فهذا الصنف يتعرض لنقمة المواطنين، مع قطع النظر عن أصله ودينه ومعتقده، فإذا كان غريباً ودينه كذلك ولغته غريبة، فإن النقمة تنصب عليه عاجلاً أو آجلاً، يستوي في ذلك اليهود وغيرهم، فإذا أراد اليهود تجنب الكره فعليهم البعد التام عن أسبابه، كما عليهم أن لا يربطوا ذلك بالعنصر أو الدين. فذو النعمة ما زال محسوداً منذ آلاف السنين.

ويبدو أن اليهود لا يريدون الاعتراف في ذلك، وأحسبهم لا يجهلونه، بل يتجاهلونه فقط.

٣ ـ إثارة مخاوف الآخرين

إن انطواء اليهود على أنفسهم وتفضيلهم العيش في حارات

وأحياء خاصة، مع استعمال لغة لا يفهمها جيرانهم، وما يحيطون به حياتهم ونشاطهم من تكتم، كل هذا وغيره أثار الشكوك والمخاوف لدى «الأغيار» كما طبع حياة اليهود بنوع من الغموض والمراوغة والمخاتلة، ويتضح كل ذلك في الدبلوماسية الصهيونية [1](. . . وبينما راح الساسة والمعلقون الغربيون يتساءلون في حيرة عما يقصده الصهاينة في هذا التصريح أو ذاك، وفي برامجهم المختلفة، والمتناقضة أحياناً، راح الناطقون الصهاينة فيما بعد، وبشيء من ابتسامة ساخرة، يلوحون قائلين «نحن. . .» كنا نعرف ما نقصده في قولنا، «الوطن القومي اليهودي» و «جزء من فلسطين» و «إسرائيل التاريخية، والحكم الذاتي ونحو ذلك» غموض مقصود، ليستعمل في الوقت المناسب، وبتفسير مناسب.

وقد لاحظ «ليوبنسكر» بحق[2] (أصبح من المحتم لهذا الشبح القومي، أو القومية الشبحية، القائمة على حياة شاذة منعزلة عن بقية البشر، وتاريخ الإنسان، أن تثير الخوف والاعتراض من الآخرين.

وقد عبر «آرثر بلفور» بالضبط عن مثل هذا الخوف من

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٥٤ .

(٢) تكوين الصهيونية ص ١٣١ .

حكمه على انعزالية المهاجرين اليهود بقوله (شعب منفصل، لا يكتفون بالإيمان بدين مختلف عن الأكثرية الساحقة من زملائهم، من بقية المواطنين، بل يتزوجون أيضاً فيما بينهم فقط).

ومن العجب أن عالم الإجرام «لومبروزو» المساند القوي للصهيونية قبل فكرة أن اليهود يميلون إلى التزوير والتزييف والسمسرة والدعارة... [1].

فإذا صح كل هذا فمن حق البشرية أن تخاف من اليهود وتحذرهم. ومن هذا المنطلق عاملتهم كثير من الشعوب، حتى شاع في أوروبا لفترة من الزمن بأن الطاعون سببه الجرذان واليهود، وقد ورد في التلمود أن كل كافر كان يسمى يهودياً، كما كان يعتقد بأن الأطباء اليهود يقتلون عشر مرضاهم، كما هناك من يعتقد بأن اليهود وراء كل شر، حل أو سيحل بالإنسانية، ومن أواخر هذه الشعوب، الشعب الياباني، فقد تبنى أكثر من كاتب فكرة أن اليهود يحاربون اليابان، وهم وراء ارتفاع أسعار «الين» لأنهم يملكون البنوك وهم وراء تصنيع كوريا الجنوبية لتنافس المنتجات اليابانية[2].

---

(١) تكوين الصهيونية ص ١٤٥ .

(٢) نشرت صحيفة الشرق الأوسط عام (١٤٠٧هـ) أسماء بعض الكتاب تحت عنوان اللاسامية في اليابان .

ويحسن هنا أن أذكر تعريف «قاموس أكسفورد» الجديد لليهودي[1]، فهو اسم ذم أو نقد، يستعمل لوصف المرابي، أو مسلف المال الجشع أو الاستغلالي، أو لوصف تاجر يعقد صفقات سيئة، أو يتعامل بمكر.

وقد وصف «شوبنهاور» اليهود مرة، بأنهم أساتذة فطاحل في الكذب[2]. أما الدكتور «مارتن لوثر» فقد نشر عام ١٥٤٢ م يقول[3]:(لا أحد يريدهم، المسالك والطرق مفتوحة أمامهم، بإمكانهم أن يعودوا إلى بلادهم إذا رغبوا، وسيسرنا أن نقدم لهم الهدايا، للتخلص منهم).

ويبدو أنه يعبر عن الإنسان الغربي، تجاه اليهود، والذي تصور في وقت أنه سيتخلص من اليهود، حيث يهاجرون إلى فلسطين، ولكن خاب الظن، فما زال اليهود يعسكرون في الغرب، وأن يهود نيويورك أكثر من يهود اسرائيل.

وقد رد «فرويد» معاداة، السامية إلى فكرة «شعب الله المختار»[4] وما دمنا في السامية واللاسامية، فهناك وقائع

---

(١) تكوين الصهيونية ص ١٣١ .

(٢) تكوين الصهيونية ص ١٣٢ .

(٣) تكوين الصهيونية ص ١٣٥ .

(٤) تكوين الصهيونية ص ١٤٤ .

أغرب من الخيال، فقد ثبت أن جمعية «جون برتش» المعادية للسامية والمتطرفة، ضمت في عضويتها نحو ألف يهودي، وأن أمين عام حزب النهضة (الحزب النازي) في أمريكا، أصله يهودي، وهذا ما جعل الحزب يطالبه بالاستقالة[1].

وقد كتب القشطيني عن تضارب الاتهامات لليهود قائلاً[2] (.... فبينما اتهم الفرنسيون اليهود بالتجسس لحساب الألمان، اتهمهم الألمان بالفت من عضد ألمانيا، ولاحظ الأغيار أن كلاً من: كارل ماركس، ولاسال وكاوتسكي وروزه لكسمبرغ وتروتسكي وغيرهم كثير من الثوريين، كانوا من اليهود، فوصلوا ما بدا لهم كاستنتاج منطقي - أي بأن الثورات من صنعهم - وفي عام ١٩٠٦م اقترحت وزارة الخارجية الروسية، في مذكرة سرية بعث بها الكونت «لا مسدروف» إلى نظرائه من وزراء خارجية ألمانيا وفرنسا، لتأسيس اتحاد ثلاثي لمراقبة النشاطات اليهودية، واتهمت المذكرة اليهود بالتآمر على المسيحية، والنظام الملكي والحكم القائم وتهريب الأسلحة والأموال، والتشجيع على الثورة. وبعد الثورة البلشفية، أيقن المحافظون بفكرة المؤامرة اليهودية،

---

(١) تكوين الصهيونية ص ١٤٦ .

(٢) تكوين الصهيونية ص ١٤٨ .

والتخريب اليهودي، بعد أن رأوا العدد الكبير من اليهود، بين قادة الثورة والمتحمسين لها).

والذي يشجع على قبول هذه الاتهامات، عدم ولاء اليهود للبلد الذي يعيشون فيه، وتجسسهم على أمريكا وروسيا يكشف جانباً من هذا السلوك. وقد هاجمهم «ماركس»[1] في كتابه «المسألة اليهودية» واصفاً ربهم الحقيقي بأنه «الكمبيالة» كناية عن حبهم للمال.

وقد لخص «بيتر ناثان» هذا التضارب أجمل تلخيص فقال[2]: (... فإذا كنت معادياً للرأسمالية، فإنها من اختراع اليهود، وها هو جميع رأسمال العالم بيد اليهود. أما إذا كنت معادياً للشيوعية فستجد أن جميع الاشتراكيين والشيوعيين من اليهود، كما هو الحال في ماركس وتروتسكي وهانية وتولز، وإذا فقدت ابنك في الحرب، فاليهود هم الذين سببوها، وإذا اعتبرت الصلح مخلاً بشرف الأمة ومصالحها، فاليهود هم الذين رتبوا الصلح).

والذي أعتقده: أن اليهود أمة متماسكة، واثقة من نفسها، يجمعها شعور مشترك، وتنظيم دقيق، ساعد عليه قلة العدد،

---

(١) تكوين الصهيونية ص ١٤٩ .

(٢) تكوين الصهيونية ص ١٥٠ .

وقد تعرضوا للاضطهاد، فحملهم ذلك على رص الصفوف، وقد تحقق فيهم ما قاله غاندي «الضربة التي لا تقتلني لا تزيدني إلا قوة».

٤ ـ الارتباط بفلسطين

تتحدث التوراة عن وعود قطعها الله لإبراهيم عليه السلام، أن يعطيه ونسله أرض فلسطين، ويكثر نسله، ويجعل الشعوب تهرب من أمامه، من ذلك ما جاء في سفر التثنية، «... كل موضع قدم تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته، كما كلمت موسى، من البرية ولبنان إلى النهر الكبير، نهر الفرات». وفي التثنية أيضاً «... ويطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم...».

وسأناقش هذه الوعود في مكان آخر.

وقد أضفى اليهود على أرض فلسطين صفات غريبة، فمن دفن فيها فإنه يقوم يوم القيامة، كما ينبت النبات حين ينزل المطر، أما من دفن خارجها، فيبعث يزحف على بطنه، ويتسلل في شقوق الأرض. أما الخبز فيها فيجمع كافة النكهات الطيبة لكل ما على الأرض من طعام (١) والذي

(١) تكوين الصهيونية ص ٦١ .

يذكرهم بفلسطين ذلك «الاجترار للأحزان» الذي لا يتوقف ولا ينقطع، جاء في المزامير[1] (على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا، لأنه هناك سألنا الذين سبونا أن نعطيهم أغنية، سألنا معذبونا بفرح قائلين، رنموا لنا ترنيمة من ترنيمات صهيون، كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟ إن نسيتك يا أورشليم فلتنس يميني مهارتها. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، ولم أفضلك يا أورشليم على أعظم أفراحي) حقاً لم ينس اليهودي فلسطين ولا أورشليم، إلا أنه حين جاءت الفرصة ليهاجر فضل نيويورك ولندن وجنوبي أفريقيا، حيث بيوت المال، ومناجم الذهب والماس.

وفي التوراة وعد من الله، جاء على لسان آرميا النبي، بأن مدينة القدس، بحدود ذكرها، لا تهدم إلى الأبد (. . . يقول الرب: وتبنى المدينة للرب من برج حنئيل إلى باب الزاوية. . . إلى زاوية باب الخيل شرقاً، قدساً للرب لا تقلع ولا تهدم إلى الأبد) آرميا الأصحاح ٣١/٢٨.

ومعلوم ما فعله جيش بختنصر من هدم كامل لها، ثم ما

---

(١) الزمور ١٣٧ /١ ـ ٥ .

فعله الرومان بعد ذلك من هدم وتخريب[1]، فكيف يمكن تفسير هذا العهد؟؟.

ويحاول «وايزمن» تعليل هذا «الهيام الصوفي» فيقول[2]: (أعتقد أن السبب الرئيس ، الذي أدى إلى ظهور هذه الحالة من الطائفة اليهودية في العالم، يعود إلى تعلقها بفلسطين. إننا شعب نعتز بأنفسنا، ولنا ذاكرة طويلة، إننا لا ننسى مطلقاً، وسواء أكان هذا من سوء حظنا أو حسن حظنا، فإننا لم ننس فلسطين... ويرجع بصورة أولية إلى ترابط فزيولوجي أو سايكولوجي بفلسطين).

وما أراه أن الدين اليهودي ربط أتباعه بالأرض، ثم قام اليهود فنظموا كل ما حل بهم من أحزان شعراً، وراحوا يلقونه في كل مناسبة، فظل التذكير بفلسطين وغيرها حياً في النفوس، بل هناك جملة أدعية يرددها اليهود في كل مكان بأن ينزل الله المطر في فلسطين وينبت النبات ويكون حصاداً جيداً... الخ. وكل هذا يفعل فعله في النفوس.

---

(١) هدم بختنصر بيت المقدس عام ٥٨٦ ق. م وأحرقه، وفي عام (٧٠) م قام تيطوس الامبراطور الروماني بحرقه ثانية كما أحرق الهيكل ودمر المدينة ونفى اليهود .

(٢) تكوين الصهيونية ص ٧٠ .

وقد كتب شاعر من يهود الأندلس[1] (آه من يعرني أجنحة، عسى أن أحلق بعيداً، مستريحاً من كل تشردي، ولأضع حطام قلبي بين حطامك) ويذكر «سيد ياسين» محاولة الصهيونية لفلسفة العودة لفلسطين قائلاً: [2](... وقد رفعت الجماعات الصهيونية شعاراً مؤداه «لا يمكن ممارسة حياة يهودية صحيحة في أي مجتمع حديث خارج فلسطين».

وزعمت الصهيونية أن الحياة في ظل المجتمعات الأوروبية الحديثة من شأنها أن تجعل اليهود يتمزقون، بين السحق الروحي والحضاري، الذي سيترتب على نسف حياتهم التقليدية والمجتمية، تحت وطأة التنظيمات الاقتصادية والسياسية الحديثة، والغناء المادي عن طريق «الاندماج التام» في المجتمع. من هنا زعمت الصهيونية أنه في فلسطين فقط، يمكن أن ينشأ مجتمع يهودي حديث، حيث يمكن التأليف بين اليهودية والحضارة الإنسانية العامة، أو بعبارة أخرى، بين الأصالة والمعاصرة...).

وقد عرضت على اليهود أكثر من منطقة في العالم، لاتخاذها وطناً، مثل الأرجنتين وأوغندا ووسط روسيا، ولكنهم

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٦٢ .

(٢) الصهيونية والعنصرية ص ١/٨٨ .

رفضوا هذه البلاد كلياً، وحين عرضت إنكلترا على «هرتزل» الاستيطان في «أوغندا» ثار الصهاينة وأوشكت حركتهم على التمزق، وقد وصف بعض المؤرخين هلع يهود أوروبا الشرقية وبكاهم، عندما قبل المؤتمر الصهيوني عام ١٩٠٣ م تحت تأثير من هرتزل، ذلك العرض، ولكنهم سرعان ما نقضوا القرار بعد سنتين، وقرروا تكريس كافة الجهود للعودة إلى فلسطين.

وتأتي المفارقة الكبرى حين يطلب إليهم الهجرة إلى فلسطين، فإذا بهم يفضلون نيويورك ولندن عليها.

وقد وصفهم هتلر بالكذب والنفاق فقال: يبكون على فلسطين ولا يهاجرون إليها.

يقول ج. جانسن: عندما غادر اليهود شرقي أوروبا (والأرض المقدسة على شفاههم، وكانت أقدامهم تسير ثابتة في الاتجاه الآخر: إلى ألمانيا أو إنكلترا أو أمريكا. وكان من المفارقات أنهم عندما ذهبوا إلى الأمبراطورية التركية المتسامحة والمضيافة... فإن القليل جداً منهم ذهب إلى فلسطين، مع أنها كانت جزءاً من الأمبراطورية، يسهل الوصول إليها، وعدد سكانها قليل)[1]. وهنا يمكن طرح

---

(١) الصهيونية وإسرائيل وآسيا / ج. جانسن ص ٢٥.

سؤال: لماذا يهاجر اليهود من روسيا وشرقي أوروبا؟؟ وفي الجواب يمكن القول: بأن اليهودي تاجر ومرابي، وفي مجتمع يحترف الاشتراكية، لم يستطع اليهودي إشباع رغباته، رغم وجود سوق سوداء ـ لذا فهو متطلع دوماً إلى الدول الرأسمالية، ولكنه يغطي هذه الرغبة، بإظهار التوجه إلى فلسطين، وبذلك يجند الصهيونية والحكومة في فلسطين لخدمته ومعاونته، فإذا تمكن من السفر والهجرة، توجه للغرب، وأدار ظهره لفلسطين، لممارسة عمله المفضل على مدى الزمن.

وقد كشفت الجمعيات المعنية بهجرة اليهود أن روسيا سمحت لهجرة ما يقارب ألف يهودي، فلما وصلوا إلى أوروبا الغربية، توجه ربعهم إلى فلسطين، وثلاثة أرباعهم إلى الدول الرأسمالية. ومن هنا يمكن فهم المرارة التي تحدث بها بن غوربون [١] (في يوم تأسيس الدولة، لم يقطع زعيم صهيوني واحد ـ في أمريكا وأوروبا ـ علاقته بدول المنفى، ويربط مصيره بمصير دولة إسرائيل).

كما وصف أكثر من مرة اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل، بأنهم لا يؤمنون بالله.

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ٥٤ .

وقد وصف الصحافي اليهودي «ويليام زوكرمان» هذه الظاهرة أحسن وصف فقال[1]: (لم يستطع أي قدر من الإثارة قام به القوميون اليهود، ولاسيما ابن غوريون، أن يحدث أدنى تغيير في قرار الأمريكيين اليهود، بأن يبقوا في بلدهم أمريكا.

إن إسرائيل بالنسبة لليهودي الأمريكي شيء يفخر به ويعتز، بل هي جزء من معتقده الديني، ومن ثم فهو على استعداد لأن يقدم لها التبرعات المالية بسخاء، ولكنه لا يفكر بجعلها موطناً له في الوقت الحاضر، ولا موطناً لأبنائه في المستقبل، ذلك هو التحدي الكبير لليهود الغربيين في مواجهة إسرائيل، الأمر الذي يجعل مآل «التجمع اليهودي» في إسرائيل إلى الإفلاس العقائدي، والفشل الذريع).

وقد قدم الحاخام (كلوزنر) تقريراً للمؤتمر اليهودي الأمريكي عام ١٩٤٨م بعد أن أجرى مشاورات واسعة مع كبار اليهود جاء فيه[2]: (إنني مقتنع بأنه يجب إرغام الشعب اليهودي على التوجه إلى فلسطين، فهم ليسوا مستعدين لتفهم حالتهم، أو فهم الوعود المقطوعة للمستقبل. فالدولار الأمريكي بالنسبة إليهم هو أهم المغريات والحوافز).

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٥ .

أليس هذا من أكبر المفارقات.

ولعل الأغرب أن اللاجئين اليهود في معسكراتهم، يرفضون كذلك الهجرة إلى فلسطين، ويفضلون الهجرة إلى أمريكا، وهذا ما جعل «كلوزنر» يفقد أعصابه ويستشيط غضباً، ويقترح إبعادهم عن المجتمع اليهودي، وأن يظلوا في معسكراتهم، مع عدم السماح لهم بأي عمل يكسبون منه، بل وضعهم في حالة غير مريحة جهد الإمكان، وحرمانهم من الإمدادات، وأخيراً أن تقوم منظمة مثل الهاغانة بمضايقتهم، فإذا لم تتم الموافقة على برنامجه هذا فهو يقترح بالحرف [1](... فإن من الممكن اصطناع حدث ما، بحيث يكره الطائفة اليهودية الأمريكية على إعادة النظر في سياستها، وإحداث التغييرات المقترحة، وفي نفس الوقت يزداد تعرض الشعب اليهودي للآلام، وتتسع الموجة اللاسامية[2]، ويزداد الكفاح في سبيل إنجاز الهدف المطلوب) ١ هـ هذا الكلام الغريب، يلقى في مؤتمر عام، وهو يعني التهديد، كما يعني أنه من سياسة الصهاينة افتعال حوادث بهدف إخافة اليهود،

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥ .

(٢) هنا يمكن فهم انضمام أكثر من ألف صهيوني إلى الحزب النازي الأمريكي ، لإستعمالهم في الوقت المناسب مثل هذه الأهداف (كلوزنر) بكل صراحة .

وحملهم على الهجرة، ولو كان عن طريق التضحية ببعض اليهود.

كيف يفسر الإنسان ذلك «الهيام الصوفي» بفلسطين، ورفض قبول أي وطن سواها، فإذا صارت في متناول اليد، فضل عليها أمريكا، وأوروبا الغربية؟؟ من هنا يمكن فهم قانون «العودة» الذي سنته إسرائيل عام ١٩٥٠ م والذي يخالف سائر القوانين في العالم.

قانون العودة

بتاريخ ١٩٥٠/٦/٥ أصدر البرلمان الإسرائيلي «قانون العودة» وقد جاء فيه: [١](كل يهودي يحق له أن يجيء إلى هذه الدولة بوصفه مهاجراً...) وهذا الحق جاء لمجرد كونه يهودياً، كما قال ابن غوريون، فكل يهودي يحل في فلسطين، فقد كفل له القانون فوراً وتلقائياً «صفة مواطن» فإذا كان لا يرغب بذلك فعليه أن يخبر أقرب موظف بذلك.

فاليهودي الذي يمر بإسرائيل يكسب الجنسية دون علمه، وبدون طلب منه. أما الفلسطيني الذي عاش هو وأجداده،

---

(١) الصهيونية والعنصرية ص ٣٢٨/١ .

ولعدة قرون فلا يكسب الجنسية إلا إذا جاء بألف وثيقة ومستند.

ومن غرائب هذا القانون أن كل طفل يهودي يولد في إسرائيل، يصبح مواطناً فوراً، مع غض النظر عن جنسية والديه، وإقامتهما.

والأغرب من كل ذلك أن الأبوين إذا تخليا عن الجنسية الإسرائيلية، فالتخلي لا يشمل الطفل الصغير، إلا إذا جرى ضمه صراحة في إعلان التخلي عن الجنسية، مع أن القاعدة بأن التابع لا يفرد في الحكم. وكل هذا يعني أن الجنسية الإسرائيلية مفروضة على اليهود، أكثر من أن تكون حقاً مكتسباً، وفي نفس الوقت هي ممنوعة عن الفلسطيني حتى يكسبها بالطلب. فهل هناك دولة في القرن العشرين تشرع لكل فئة من مواطنيها قانوناً، يختلف عن فئة أخرى؟؟.

وأختم ما تقدم بتعريف طريف للصهيوني[1] (بأنه اليهودي الذي يقدم تبرعاً مالياً ليهودي ثان، بهدف إرسال يهودي ثالث إلى إسرائيل).

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ٦٢ .

الفصل الثاني

عبادة القوة والتحالف مع الأقوياء

القارىء للتوراة يجدها متمجد القوة، وتهتم بالحروب، حتى تأتي على أعداد القتلى والأسرى والحيوانات، كما تطفح بإحراق المدن بما فيها من إنسان وحيوان، وردم الآبار، ودفن عيون الماء، وإحراق البساتين.

ومن القصص الكثيرة التي تحفل بها «قصة المصارعة» بين الله تعالى وبين يعقوب، التي جاءت بسفر «التكوين»[1] فبعد أن عبر المخاضة مع أولاده وأهله واجتاز الوادي ثم جلس في خيمة وحيداً «فصارعه إنسان حتى طلوع الفجر» ولما وجد قوة من يعقوب ضربه على حُقٍّ فخذه فانخلع، وطلب الرجل من

---

(١) سفر التكوين ٣٢ / ٢٢ ـ ٣٢ .

يعقوب أن يتركه فلم يفعل حتى يباركه، وبعد أن سأله عن اسمه قال لا يكون اسمك يعقوباً بل إسرائيل، والسبب أنه جاهد مع الله، ولما سأله يعقوب عن اسمه لم يجبه، بل سأله عن سبب سؤاله ثم باركه، وعند ذاك أطلق يعقوب على المكان اسم «فينئيل» وقال مسبباً ذلك «نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي» وبعد شروق الشمس ترك المكان «وهو يخمع على فخذه»-تقول التوراة بعد ذلك: «لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم» والقصة بما توحي وترمز فإن يعقوب خرج منتصراً في هذه المصارعة، التي امتدت ليلة كاملة، كان يعقوب هو الأقوى، لولا أن الله ضربه على حُقّ فخذه... وكفى اليهودي فخراً أنه أقوى من ربه.

وفي التوراة أيضاً أن فلاناً نفخ على مدينة فطارت في الهواء بكل ما فيها. وأن قائداً لسليمان عليه السلام رفع سيفه فمات على الفور سبعون ألف مقاتل.

وصراع سليمان مع جالوت ذلك البطل، بينما كان سليمان صبياً، فوضع حجراً في مقلاعه ثم رماه فقتله معروف، وقصص شمشوم وغيرها، كلها ترسم صورة بالدم واضحة المعالم، ذات إيحاءات بالقوة لا مثيل لها وقصة «أبي مالك» الذي حاصر مدينة، ثم قال لجنوده، افعلوا كما أفعل، ثم

أخذ غصن شجرة ورماه على المدينة، وكذلك فعل جنوده، ثم أشعل فيها النار فاحترقت على ما فيها من بشر وحيوان، كل هذا وأمثاله يجده القارىء للتوراة هنا وهناك، فلا يعجب إذا تمسك اليهود بالقوة أو آمنوا بها.

وأختم هذا بما ورد في «وثائق قمران» التي وجدت في منطقة أريحا على البحر الميت، وعنوان المخطوط «حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام»[1] وفيها يشن سبط يهودا وبنيامين ومعهم الكهنة من سبط لاوى حرب إبادة، على جميع الشعوب الفلسطينية، ومن جاورهم في (القرن الأول قبل الميلاد)، ويطلق اليهود على أنفسهم أبناء النور، وعلى أعدائهم أبناء الظلام، ويسمى الكاتب جنود الأعداء «جيش بليعال» أي جيش الشيطان. ثم يباشر بوصف الكتائب اليهودية، حيث تتكون من الفرسان والمقاتلين وقد اصطفوا واستعدوا بخيلهم ورماحهم ودروعهم وكامل عدتهم، ترفرف عليهم رايات جميلة، قد نقش عليها شعارات الإيمان والنصر. أما جيش الشيطان فهم شراذم رثة الهيئة كثيرة اللغط، تسودها الفوضى، وهي متخاذلة خائفة، يسودها الجبن، ولا تفكر إلا بالهزيمة... هذه الصورة، أو هذا الحلم أحسبه ما زال يداعب عقول وقلوب الصهاينة،

---

(١) الشخصية الإسرائيلية / د. حسن ظاظا ص ٤٤.

وشجعهم على هذه الأحلام، تلك الهزيمة المنكرة التي لحقت بنا عام ١٩٦٧ على أيدي أولئك «الأبطال» الذين «سيسوا» الجيوش العربية، فحولوها عن أهدافها، فلما وقعت الحرب هرب الكل، فتصور اليهود أن هذا ببركة قوتهم وشجاعتهم، ووصفوا جيشهم بأنه لا يغلب...

التحالف مع الأقوياء

العالم في نظر اليهودي مقسم إلى: يهودي وغير يهودي، واليهود لا يهتمون كثيراً «بالأغيار» وكل ما يرجونه ويؤملونه، عدم صدور الأذى عنهم، كذلك لا يهتمون بماضي الأغيار ولا أخلاقهم، ولا نوعية سلوكهم، إلا أنهم يراقبون بدقة وحذر «مراكز القوة» وميزانها، والهدف معرفة الأقوياء من أجل التحالف معهم، حفظاً وصوناً لمصالح اليهود. والقضية ليست بنت اليوم أو الأمس، ولكنها تعود لألوف السنين، ويحسن هنا أن أعرض أولاً نبذة تاريخية ثم أبسط القضية.

نبذة تاريخية

انقسمت مملكة اليهود إلى قسمين، بعد موت سليمان عليه السلام مباشرة «في مطلع الألف الأول قبل الميلاد» فكانت إسرائيل في الشمال، ويهودا في الجنوب.

مملكة الشمال سقطت على يد الأشوريين عام (٧٢٠) ق. م. ومملكة الجنوب سقطت على يد بختنصر الكلداني عام (٥٨٦) ق. م. وحين قام «قورش» الفارسي «وأمه يهودية» ساعده اليهود، واعتبروه مخلصاً ربانياً لهم، بل وصفوه بالمسيح المنتظر[1]. جاء في سفر أشعيا[2] (هكذا يقول الرب لمسيحه، لقورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً، وأحل أحزمة ملوك، لأفتح أمامه المصراعين، فلا تغلق الأبواب، إنني أمشي أمامك، وأمهد الهضاب، وأحطم مصراعيّ النحاس، وأكسر مزاليج الحديد، وأعطيك مكنونات الكنوز وذخائر المخابىء، حتى تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك، لقبتك وأنت لا تعرفني).

وقد قدم قورش هذا وعداً لليهود بالعودة إلى فلسطين، على نفس الطريقة التي صدر بها وعد بلفور، وذلك بأن يقوم طرف بالتبرع بوطن طرف ثانٍ لمصلحة طرف ثالث.

والخلاصة: عندما كانت العلاقات بين الكلدانيين

---

(١) وقد اقترحت إسرائيل على شاه إيران المخلوع الاحتفال بذكراه، بحجة ترويج السياحة، فأنفق مئات الملايين، وحضر الاحتفالات بعض الحكام العرب.

(٢) الشخصية الإسرائيلية ص ٦٦ - ٦٧.

والمصريين متوترة، ومرشحة للاصطدام، قدر اليهود أن النصر سيكون حليف المصريين، لذلك سارعوا للتحالف معهم، وخالفهم في ذلك النبي «آرميا الكاهن» فقد كان اعتقاده بأن النصر سيكون من نصيب بختنصر وجيشه، وعلى هذا ينبغي أن يكون التحالف مع المنتصر، وليس مع المهزوم، جاء على لسان آرميا (. . . هكذا قال رب الجنوذ، إله إسرائيل، هكذا تقولـون لسادتكم، إني أنـا صنعت الأرض والإنسان والحيـوان، الـذي على وجـه الأرض، بقـوتي العـظيمـة، وبذراعي الممدوة، وأعـطيتها لمن حسن في عيني، والآن دفعت كل هذه الأرض ليد نبوخذ ناصر، ملك بابل عبدي، وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليخدمه، فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه، حتى يأتي وقت أرضه أيضاً فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام، ويكون أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذ ناصر ملك بابل، والتى لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل، إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء، يقول الرب حتى أفنيها بيده، فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحالميكم وعائقيكم وسحرتكم الـذين يكلمونكم قـائلين لا تخدموا ملك بابل، لأنهم إنما ينبئون لكم بالكذب، لكي يبعِدوكم من أرضكم ولأطردكم فتهلكوا. والأمة التي تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه، أجعلها تستقر في أرضها وتعملها وتسكن بها. . .) الإصحاح ٢٧/٤ ـ ١١.

وهذا الكلام يتكرر عشرات المرات بحيث بلغت أقوال آرميا **٥٣** إصحاحاً وخمسة مراثي.

لم يسمع اليهود لنصيحة «آرميا» مما اضطره على أن يحتال للاتصال بجيش بختنصر وقائده، ويجري معه مفاوضات مطولة، وبقي اليهود على قناعتهم وتحالفهم، حتى اقتحم جيش بختنصر القدس، وساق اليهود أسرى إلى بابل، وقدر للنبي «آرميا» موقفه فترك له الحرية في البقاء أو الهجرة، وكان يخشى على نفسه من قومه، فهاجر سراً، ولكن اليهود لم يلبثوا أن قتلوه. وأحدث ذلك صدمة كبيرة لليهود، ومن ذلك اليوم وهم يراقبون بدقة وحذر «مراكز القوة» من أجل معرفة النجم القوي الصاعد، ليتحالفوا معه، غير سائلين عن سلوكه وما يعتقده، ولا عن ماضيه ونظافته، المهم عندهم أن يكون قوياً أو مرشحاً ليكون كذلك.

وبالمثل فإن الحليف إذا فقد مركز قوته، أو أوشك على ذلك تركه اليهود بسرعة، ليتحالفوا مع نجم جديد طالع، والأمثلة في هذا أكثر من أن تحصى أو تعد.

فحين برز المسلمون قوة عالمية، سارع اليهود للتحالف معهم، وكسب ودهم، بل راحوا يتجسسون لهم على الروم وغيرهم.

يقـول العالم اليهـودي «إسـرائيـل ولفنسـون»[1]: (كـانت الضرورة الطبيعية لنجاح مشروعات المسلمين، تقتضي حتماً وقوع عراك شديد بين الطرفين - المسلمين واليهود - ومن أجل ذلك تغيرت الحالـة تغيراً جـوهريـاً، بعد أن انتهت الخصومة السياسية بين الرسول وبطون يثرب، حتى شـرع اليهود ينظرون بعيون الإكبار والاحترام إلى جيوش المسلمين، التي كانت تغمر كالسيل أقطار العالم ونـواحيه، وقـد كان اليهود في أغلب مدن العـراق يخرجـون لاستقبال جيـوش المسلمين بالحفاوة والإكرام، لأنهم يؤثرونهم على غيرهم، إذ يرون فيهم قوماً يؤمنون بإله موسى وإبراهيم، ولقد ازدادت هذه الروابط متانة مع الزمن، حتى دخل اليهود في جيوش المسلمين ليقاتلوا معهم في أقاليم الأندلس، وينبغي أن لا يغيب عن البال، أن الخسارة القليلة التي لحقت بيهود بلاد الحجاز، ضئيلة بالقياس إلى الفائدة التي اكتسبها اليهود من ظهور الإسلام، فقد أنقذ الفاتحون المسلمون آلافاً من اليهود كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومية، وكانوا يقاسون ألواناً شتى من العذاب) ا هـ.

وفي الأندلس استقبلوا المسلمين، فلما خرجوا منها كانوا معهم، واستقروا في أقطار المغرب وتركيا، فلما أفل نجم

---

(١) الصهيونية بين الدين والسياسة / عبد السميع الهراوي ص ٢٨٧ .

المسلمين، راحـوا يتجسسـون عليهم لمصلحـة الاستعمـار الغربي، بل راحوا يغرونه بالغزو. وحين سطع نجم «هولاكو» في المشرق كاتبه يهود بغداد، وحالفوه، وقدموا له المـال والمشـورة، قبل أن يصـل إلى بغداد، فلمـا دخلها وقتـل الخليفة ومليوناً من المسلمين - كما يذكر ابن كثير[1] - سلم اليهود، فلم يقتل منهم أحد، كما سلمت أموالهم من النهب والسلب وفي العصر الحديث ابتـدأ رهانهم على فـرنسـا فحالفوها، وراحوا يتعلمون الفرنسية، ويعملون في خدمـة النفوذ الفرنسي، فلما برزت إنكلتـرا قوة جـديدة، تحـولوا إليها، وربطوا مصيرهم بها، وراحوا يغرون الإنكليز باستعمار فلسـطين وغيـرهـا، واتخـذوا من «لنـدن» مقـراً لحـركتهم ونشاطهم، فلما توحدت ألمانيا وبرزت قوة سياسية، تركوا لندن، وتوجهـوا إلى برلين، وقـام بعضهم بترجمـة التوراة للألمانية، كما راحوا يتعلمون الألمانية، ويعقدون المؤتمرات هناك، ويكتبون بالألمانية كافة القرارات، وبقي الحال هكذا حتى بعد ظهور هتلر، حيث ظلوا على صلة به، يحاولون استثمار كرهه للمساعدة في الهجرة إلى فلسطين. ويوم أن قام هتلر بإغلاق النوادي اليهودية، ومصادرة صحفها، استثنى الصحف الصهيونية، حيث استمرت على الكتابة والنشر[2]،

---

(١) البداية والنهاية ١٣ / ١٩ مطبعة المتوسط .

(٢) تكوين الصهيونية ص ١٨٦ ـ ١٨٩ .

وهـذه الصلة صـار البحث فيهـا ، من المحـرمـات ومن يبحث فلن يجـد داراً تنشر لـه، لأن سيف الإرهـاب الصهيـوني مصلت فوق الرؤوس في الغرب.

ثم تحولوا بعد ذلك إلى لندن وحالفوا الإنكليز، وبعـد الحرب العالمية الثانية أدركوا أن مركز القوة قد تحول إلى أمـريكا، فتـوجهوا إلى هنـاك، رامين بكـل ثقلهم المـالي والإعلامي والتنظيمي.

وغداً إذا ما شعروا بأن روسيا أو الصين مرشحة للصعود، فسيسـارعون للتحـالف معها، طلبـاً للمغنم، وليس إيمانـاً بالصداقة، فالأغيار أشرار ولا خير فيهم. لقد صار اليهود أشبه «بمحرار الزئبق» يتحسسون القوة، ليحالفوا صاحبها، وربما قبل أن يشعر هو بذلك، حتى إذا وقف الحليف على رجليه، طالبوه بالثمن، بعد أن يكونوا مدوه بالمال والرجال والتجسس لصالحه.

ومن غرائبهم في هذا أنهم لا يجدون بأساً، في التحالف حتى مع الأعداء، ما دام هذا العدو قوياً، فحين وقعت في روسيا مذابـح «بوغـروم»[1] التي قتل فيهـا ألوف اليهـود،

---

(١) البوغروم : كلمة روسيه تعني التنكيل. ويقوم فيها في العادة العامة من الناس متجهين إلى مراكز تجمع اليهود للفتك بهم وقد وجد =

واعتدى على أعراضهم وممتلكاتهم، والتي شهدها الكاتب الروسي «مكسيم غوركي» ووصف أهوالها[1]، مع ذلك لم يجد الصهاينة غضاضة في التفاوض مع وزير داخلية روسيا، والمسؤول عن هذه المذابح.

ولعل الأغرب من كل هذا مشاركة بعض اليهود في تلك المذابح، والدفاع عمن يشارك فيها[2]. ومن الغرائب أيضاً

= اليهود أن هناك بوغروم غير مخطط له ، وهناك نوع يجري التخطيط له بدقة وعناية .

والنوع الأول يشتعل بسبب عارض ، كوجود نصراني مقتول قريباً من تجمع يهودي ، أو اختفاء شخص أو ما شابه ذلك.

والنوع الثاني يجري وفق خطة مسبقة وتفاهم مع المسؤولين، ومن ذلك ما حدث عام ١٨٨١ م في جنوب روسيا. وتكرر أكثر من مرة.

(١) تكوين الصهيونيةص ١٤٧ .

(٢) الشخصية الإسرائيلية ص ٨٥ .

يذكر الدكتور ظاظا أن من بين مدبري مذبحة ١٨٨١ م حزباً سياسياً سرياً اسمه (نورود نيافوليا) وكان يضم كثيراً من اليهود ، وقد اشتركوا في الحملة ، وهناك جمعية (بوجوروف) الروسية ، التي كانت تصدر منشورات تطالب فيها بوضع حد لعربدة اليهود ، وكان بعض أعضائها من اليهود ، كما كان هناك صحف تهاجم اليهود وتخريبهم ، وفيها الكثير من المحررين اليهود .

(المصدر السابق ص ٨٥) .

أن يقف اليهود إلى جانب العثمانيين ضد اليونان، حين ثاروا في جزيرة «كريت»[1] مخالفين في ذلك سائر دول العالم، وقد فعلوا نفس الشيء مع الأرمن، فقد استعملول صحافتهم في تأييد العثمانيين، طمعاً في حصول إذن بالهجرة ودخول فلسطين، أما الأرمن أو اليونان فلا مطمع فيهم. ومن مساهماتهم مساعدة النظام الماركسي في الحبشة، ضد رغبة الحليف الكبير (أمريكا). فلماذا كل هذا الحرص على التحالف مع الأقوياء؟؟ الذي أتصوره - إضافة للتجربة التاريخية - أن اليهود أصحاب رؤوس أموال، وهم دوماً بحاجة إلى صداقة الحاكم المحلي القوي، ليحميهم وأموالهم من الاعتداء، ومن هنا يمكن أن نفهم سبب تجسسهم على مواطنيهم، فمن أجل أن تكون لهم مكانة لدى الحاكم، يتجسسون له، وإلا فالحاكم وشعبه من الأغيار، الذين لا خير يرتجى منهم.

ونظراً لأن الأموال صارت تتحرك عبر الحدود، من دولة لأخرى، لذا فالحكومات القوية عالمياً، يمكن أن تساعد في حفظ هذه الأموال، أما المراهنة على الضعيف ولو كان صديقاً، فلا يعرفها اليهود. يذكر الكاتب اليهودي

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٢٢١ .

«سجيف»[1] أن الشاه وبعض كبار المسؤولين، كانوا يناقشون الإسرائيليين حول الحملة ضد الشاه في أمريكا، وإنها كانت تسير برضاهم، بالرغم من صداقة الشاه لإسرائيل، ولما راح الصهاينة ينفون ذلك بشدة، ويتساءلون عن سبب هذا الاعتقاد، رد الإيرانيون بتقديم قائمة بأسماء الصحفيين اليهود الذين يحملون على الشاه، كما صرح الشاه بأنه يعتقد بأن إسرائيل خلف الحملة سواء بطريق مباشر، أو عن طريق الموافقة السرية.

والمتبادر هنا أن اسرائيل ـ وهي صديقة للشاه ـ راحت تعمل على إسقاطه، وليس هذا ما أعتقده، بل أن حساباتها كانت بأن نجمه في أفول، ولذا فهي تترك تحالفها معه، ولا يوجد سبب يدعوها لإسقاطه.

والدليل على هذا من كتاب «سجيف» نفسه، فقد ذكر أن محادثات بينهم وبين الأمريكيين بشأن قوة الشاه ونفوذه، وكان الرأي الأمريكي بأنه قوي وسيحكم ما بين ١٠ ـ ١٥ سنة. أما الجانب الإسرائيلي فكان رأيه بأن الشاه قد انتهى، وهذا ما حصل، وبالفعل تحرك اليهود تجاه القوة الجديدة، يقول

---

(١) المثلث الإيراني / العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأميركية، دار الجليل ص ١٣٦ . كان من بين المناصب التي شغلها (سجيف) تقديم المشورة للأمبراطور هيلا سلاسي .

سجيف[1] (في أعقاب انتقال الخميني من النجف إلى باريس في (٣ تشرين أول ١٩٧٨) ذهب إليه عدد من اليهود، وحصلوا منه على وعد، بعدم المساس باليهود في طهران، كما أن حكومة أوروبية كانت تعمل في ذلك الوقت، بناء على طلب من إسرائيل، في سبيل الحفاظ على حياة يهود إيران، ومن مكان منفاه أبلغ الخميني الحكومة الفرنسية بأنه يميز بين اليهود، وبين الصهيونيين، ووعد بتوجيه تعليمات إلى رجاله في إيران بعدم المساس باليهود) كما يذكر «سجيف» صوراً من التحرك اليهودي، تجاه القيادة والقوة الجديدة، حيث خرج خمسة آلاف من يهود طهران، وعلى رأسهم الحاخام الأكبر، لاستقبال الخميني، وهم يحملون صوره ويهتفون: اليهود والمسلمون إخوان[2]. وقد أعقب ذلك اتصالات شخصية، ثم مظاهرة تأييد ثانية وهكذا.

بل وصل الأمر بالصهاينة إلى تشجيع الأمريكان على الاتصال بالخميني في باريس، ورشحوا شيخ الأزهر ليقوم بالمهمة.

والذي أريد الوصول إليه هو: أن اليهود منذ ألوف السنين وهم يبحثون عن «الأقوى» ليحالفوه، فحيناً يصير عميلاً، بل

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٤ .

(٢) الشعار ناقص وتتمته : خارج فلسطين .

مطية لهم، والأمثلة حية، وأحياناً مجرد صديق، وفي كثير من الأحيـان يفهمهم جيـداً فيكـون الشعـار «انفعني أنفعـك، واحملني أحملك»، ولا يعني هذا أن كل قوي ظهر كان خلفه اليهود، ولا كل قوي سقط فبسبب من اليهود، فليس لليهود كل هذه القوة وإن كانت لهم حقاً فجدير بهم أن يحكموا العالم.

كثير من الكتاب اتخذ من اليهود «شماعة» يعلق عليهـا المصائب والنكبات...

والقاعدة كما أفهم هي حبهم للقوة، وتطلعهم للتحالف مع الأقوى، ونفض أيديهم من الضعيف، ولو كان صديقاً أو حليفاً.

فعلاقتهم بالأغيار محكومة بكونهم أقوياء، ما بعد ذلك أو فوقه أو قبله لا يهمهم كثيراً.

تبقى قضية حبهم للقوة، واستعمالهم لها، وتفضيلها على ما سواها في علاقتهم مع العرب، وعدم بذل أي جهد يذكر لكسب ودهم. هذه القضية من غير المعقول أن اليهود لا يدركونها.

والذي أتصوره، أن حبهم للأقوياء سرى إلى حب القوة ذاتها، فجعلوا دولتهم عسكرية بالدرجة الأولى، كما صنعوا

من شعبهم جيش احتياط، يدعى للخدمة في أية ساعة من ليل أو نهار، وهذا الأمر لم تأت به الصدفة، ولكن صنعه التخطيط، والخوف ممن حولهم، وشعورهم بأنهم اغتصبوا أرض غيرهم وطردوا أهلهـا، وفي هذا الخصـوص يعجب الإنسان لصراحة «جـولدا مائير» فقد كتبت لزوج أختها تقول (١)(عليك أن تحضر ولو لم يكن لدي قناعة تامة بأنك ستجد عملاً جيداً، لما طلبت منك الحضـور. في الحقيقة حتى العمل الصعب بالكاد تستطيع إيجاده. ولكنني على يقين من أنك ستجد عملاً ما . بالطبع لا أعـدك بحياة رغدة، خالية من ضائقة مالية أو صعوبات، ولكن أقول لك إن الذي يريد انتزاع أرض غيره ويسكنها ويتملكها، عليه أن يكون مستعداً لجميع الطوارىء والصعوبات. . .».

هذه مذكرات امرأة قال عنها بن غوريون يوماً بأنها الرجل الوحيد في وزارته، وقد تولت رئاسة الوزارة كما هو معروف.

لـذا فهي لا تمثل نفسهـا في هذا، بـل تمثل الشعب الصهيوني. وهذا يعني من جانب آخر بأن الهزيمة العسكرية للصهاينة، سيكون لها دوي هائل في النفوس، وقد صرح بن غوريون مرة، بأن العرب يتحملون الهزيمة في مئة معركة،

---

(١) مذكرات جولدا مائير ص ٧٢ . الطبعة الأولى / مطبعة المسـار.

وأما اسرائيل فإنها متى انهزمت في معركة فستكون نهاية الدولة.

وقد قام «جورج تامارين» باستفتاء لطلبة إسرائيل - في الثانوية - حول ما فعله «يشوع بن نون» من قتل جماعي للفلسطينيين، صغاراً وكباراً، وهل يمكن أن يفعل ذلك الجيش الاسرائيلي أم لا؟

وقد جاءت الإجابات تحبذ ذلك، ونتيجة هذا الاستفتاء كان طرد «تامارين» من جامعة تل أبيب، كأستاذ لعلم النفس، وخلاصة ما خرج به من الاستفتاء[1] (إن تخطيط الصفوة الحاكمة الإسرائيلية الذي يتمثل في أن تكون إسرائيل قلعة عسكرية حصينة، بالنسبة إلى جيرانها العرب، قد أدى إلى عزل إسرائيل حضارياً، وتحولها إلى «غيتو» كبير، تسوده اتجاهات حضارية انعزالية ورجعية، هي في حد ذاتها المناخ الصالح لنمو الأفكار العنصرية، وانتشار سياسات التمييز العنصري ضد العرب).

هذه شهادة قيمة، من رجل غير مطعون في صهيونيته ولا علمه، وقد دفع ثمن هذه الشهادة، وأمثاله كثير.

---

(١) الصهيونية والعنصرية ص ١/ ٩٤ .

إن عبادة القوة، مثـل عبادة العجـل، دليل على اتجـاه معين، سيدفع العرب بسببه ثمناً غالياً، ولكن نصراً عسكرياً كافياً للقضاء على إسرائيل، وإعادة الصهاينة للشتـات مرة ثانية، وقد تعهد الله بأن يسلط عليهم حتى يوم القيامة، من يسومهم سوء العذاب فإذا يسر الله لنا قيادة حكيمة مخلصة تجمعنا، وتقودنا في حرب يكون التوجه فيها لله، فسـوف ننتصر، وبانتصارنا نقضي على هذه الدولة، المزروعة في وسطنا، والأحاديث في هذا كثيرة، وسوابق الحروب الصليبية ما زالت مسطورة معروفة.

نصــوص مختـارة لقـادة إســرائيـل

١ ـ يقـول بن عوريـون[١]:(إني أعتبر يشـوع هو بـطل التوراة، إنه لم يكن مجرد قائد عسكري، بل كان المرشد، لأنه توصل إلى توحيد قبائل إسرائيل)،بل لأنه هو الذي قتل الفلسطينيين وأبادهم.

٢ ـ يقول كذلك: [٢](خير مفسر ومعلق على التوراة هو الجيش، فهـو الذي يسـاعد الشعب على الاستيـطان على

(١) الشخصية اليهودية / د. الشامي ص ١٧٢ .
(٢) الشخصية اليهودية / د. الشامي ص ١٨٤ .

ضفاف نهر الأردن، مفسراً بذلك ومحققاً لكلمات أنبياء العهد القديم).

٣ ـ يقول ميخا يوسف بيرد[1] :(إن كلًا من السيف والكتاب يناقض الآخر، بل يقضي عليه كلياً. إن الفترة التي يعيشها الشعب اليهودي هي فترة عصيبة، وفي مثل هذه الفترات يعيش الرجال والأمم بالسيف، وليس بالكتاب. إن السيف ليس شيئاً مجرداً أو بعيداً عن الحياة، إنه تجسيد مادي للحياة في أنقى معانيها، أما الكتاب ـ التوراة ـ فليس كذلك.

٤ ـ يقول بيغن[2] :(إن قوة التقدم في تاريخ العالم ليست للأم، بل للسيف).

٥ ـ لقد وجه جندي اسرائيلي إلى حاخامه يسأله عن طهارة السلاح، ومن الرد أستنتج ما يلي[3] (في ساعة الحرب مسموح وربما أكثر من هذا يجب قتل كل عربي وعربية يصادفاني في الطريق... يجب عليّ قتلهما حتى ولو كان هذا الأمر مرتبطاً بتورطي مع القانون العسكري) أي فيه مخالفة له.

---

(١) الشخصية اليهودية / د . الشامي ص ١٨٣ .
(٢) الشخصية اليهودية/ د . الشامي ص ١٨٢ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧٧ .

« تحالف الصهيونية مع الفاشية والنازية »

بعد إتمام البحث نشرت بعض الصحف[1] تعريفاً بكتاب تحت عنوان:«الصهيونية في زمن الدكتاتورية «لكاتبه اليهودي» ليني برينر «وقام بترجمته والتقديم له د. محجوب عمر، وأصدرته «مؤسسة البحوث العربية» ومثل هذا البحث لا يجرأ إنسان في الغرب على الخوض فيه، لأنه من الموضوعات التي حرمتها الصهيونية، ولا يستطيع ذلك إلا شخص يتحلى بقدر كبير من الشجاعة واستعداد للتضحية.

وقد كشف المؤلف عن وثيقة عرفت باسم «أنقره» وفيها أدلة على اتصال الإرهابي «شتيرن» صاحب العصابة التي حملت اسمه، وقد قام بالاتصال أولاً بالفاشيين الإيطاليين ثم النازيين الألمان، بهدف التحالف معهم والحرب إلى جانبهم، بشرط المساعدة على قيام دولة إسرائيل، وكان هذا عام ١٩٤٠ حين كان نجم «المحور» في صعود وانتصاراتهم تدوي في العالم، وخسارتهم للحرب تبدو بعيدة جداً.

ففي عام ١٩٤٠ م جرى اتصال بيهودي يعمل مع الشرطة البريطانية في القدس وكان عميلاً «لموسليني».

---

(١) الشرق الأوسط ٣١ / ١٠ /١٩٨٧ م .

وكان الاتفاق يقضي بأن يعترف (موسليني) بدولة عبرية في فلسطين، وفي مقابل ذلك يحارب اليهود إلى جانب المحور. ولم يكتف «شتيرن» بهذا الاتصال، فأراد أن يكون مع الألمان وبشكل مباشر، لذا أرسل «نفتالي لونستيك» إلى بيروت (وكانت بحكم حكومة «فيشي» التي أقامها المحور في فرنسا).

وفي كانون الثاني ١٩٤١م قابل «لونستيك» الألمانيين «رودلف روزين وأوتوفرن» الذي كان مسؤولاً عن الإدارة الشرقية في الخارجية الألمانية. إن تاريخ الوثيقة هو ١١/كانون الثاني ١٩٤١، وكانت جماعة «شتيرن» لا يزالون يعتبرون أنفسهم «الأرجون الحقيقي». ولم يتبنوا اسم «المقاتلين من أجل الحرية» إلا فيما بعد، (حيث حصل الانشقاق) وفي الوثيقة قالت مجموعة «شتيرن» للنازيين: إن جلاء اليهود عن أوروبا هو شرط مسبق لحل المسألة اليهودية، وهذا لا يمكن إلا من خلال إقامة الدولة اليهودية وفي حدودها التاريخية، وإن المصالح المشتركة يمكن أن تكون في إقامة نظام جديد في أوروبا، متسق مع المفهوم الألماني والطموحات القومية للشعب اليهودي، كما تجسدها المنظمة العسكرية القومية، وإن التعاون بين ألمانيا الجديدة وبين عبرانية شعبية متجددة ممكن، كما أن إقامة الدولة اليهودية التاريخية على أسس قومية شمولية، ومرتبطة بمعاهدة

مع الرايخ الألماني، ستكون في مصلحة الحفاظ على موقع نفوذ ألماني مستقبلي في الشرق الأوسط وتقويته. وانطلاقاً من هذه الاعتبارات فإن المنظمة العسكرية القومية في فلسطين تحت شرط الاعتراف بالطموحات القومية المذكورة والخاصة بحركة الحرية الإسرائيلية من جانب الرايخ الثالث (هتلر)، **تعرض أن تشارك بنشاط في الحرب إلى جانب ألمانيا**).

والغريب أن «شتيرن» ويشاركه آخرون يشعرون بأن الصهاينة هم الذين خانوا المحور وليس العكس.

وكان على الصهاينة أن يظهروا للمحور أنهم جادون بالدخول في نزاع عسكري مباشر مع بريطانيا، بحيث يرون ميزة عسكرية محتملة في تحالفهم مع الصهاينة. وكانت حجة «شتيرن» أنهم لكي يكسبوا كان عليهم أن يتحالفوا مع الفاشيين والنازيين على السواء.

وقد كان «إسحاق شامير» على علم بذلك كله كما يؤكده «باروخ نادل» المهم أن الصهاينة لم يجدوا عيباً ولا بأساً في التحالف مع هتلر وموسليني خلال الأعوام (١٩٤٠ - ١٩٤١) وهي سنوات النصر الكبرى بالنسبة (للمحور).

وعلى العكس راحوا يطالبون بمحاكمة المفتى «أمين الحسيني» بحجة تحالفه مع هتلر.

إن الحرب بين النازية واليهـود، لم تمنع الصهاينـة من التحالف، حين كان المتصور هو نجاح المحور.

إذن فالتحالف جائز مع كل أحد حتى مع الشيطان، ما دام قـوياً، واليـوم يملؤون الأرض شكايـة من هتلر ومـا فعله بـاليهود، وقـد قبضوا ألـوف الملايين ثمنـاً لهـذا الصخب واللجاجة في اتهام الألمان، وراحوا يحاربون كل شخص لا يعجبهم ويتهمـونه بـالتعاون مـع النازيين، وآخـرهم «فالـد هايم».

وصدق رسول الله (. . . إذا لم تستحي فاصنع ما شئت).

يقول المؤرخ هنريش ترتيشكا:[1](إن اليهودي يخلق من يهوديته أكثر من مشكلة سياسية دقيقة، إنه يتحاشى أي نقد، فمن يجروء اليوم على ذم اليهود؟ إن الذي يتناول المسألة اليهـودية لن يسلم من افتـراس وتمزيق كـلاب الحـراسـة اليهودية، فاليهود معصومون من النقد. . . هذا هـو قانـون اليهود، فليس من الجائز توجيه النقد إلى اليهـود. . . إنه محظور).

وللأسف فإن كلاب اليهود تنتشـر في العالم، وبعضهـا يتربع على كراسي الحكم، ويتكلم باسم الشعب والعدل،

(١) الشخصية اليهودية /د. رشاد الشامي ص ١٣٩ .

وقد يوصف بـالزعيم الملهم وهـو قبل هـذا وبعده «كلب حراسة» ليس إلا!!.

بعـض الأدبيـات اليهـودية

١ ـ أجرى الأديب اليهودي «عاموس عوز»[1] حواراً مع شخصية سياسية هامة أشار إليها بالحرف «ذد» جاء فيها:(إنهم يـطلقون علينـا الآن اصطلاح «اليهـود النازيـون» يـريـدون تخويفنا، الضغط علينا عن طريق تشويه صورتنا، ولكني أقول لهم: إنني لا أبالي بهذا الوصف وهل في هذا الوصف ما يشين؟ إنني لا أريد أن أحصل على إعجاب الأغيار، وفي سبيل ذلك ألجأ إلى أن أسلك سلوك اليهود، إنني لا أريد أن أكون أفضل من الخميني أو بريجنيف أو الأسد، إن كثيرين من مشاهير زعماء العالم كانوا قتلة إرهابيين، فلماذا أكون أنا أفضل منهم من الناحية الخلقية؟ إنني أريد أن تنضم إسرائيل إلى هذا النادي الذي يضم مجموعة من الزعماء الأقوياء، الذين لا يراعون المبادىء والأخلاق، لأنه حينئـذ سيهابنـا العالم بدلاً من أن يعطف علينا، حقيقة سيبدأ العالم في الارتجاف خوفاً من نزواتنا، بدلاً من الإعجاب بنبل أخلاقنا، ولكن أتركهم يعوون في العراء، ويصفوننا بأننا أمة من الكلاب

(١) الشخصية اليهودية ص ١٤٨ .

المسعورة، دع العالم كله يعرف أننا لا نتورع عن إثارة حرب عالمية ثالثة إذا قتل أحد سفرائنا في الخارج.

كان يهود الشتات يدعون أننا نحن الذين تلوثت أيدينا بالدماء في الحرب، وأنهم هم الأتقياء المتدينون المسالمون الذين لا يعرفون العنف، وإراقة الدماء، أما الآن فهم يتعرضون للانتقاد والهجوم والكراهية، وهذا في صالحنا، لأنهم في النهاية سيرفعون شعارنا القديم الذي يقول: «أيها اليهود، اذهبوا إلى فلسطين» وسيضطرون إلى المجيء إلى هنا، لأنه لن يكون أمامهم خيار آخر، وسيزداد عدد المهاجرين، إنني لا أهتم بأن يطلقوا علينا أفظع الألقاب، لا يهم فكل شيء محرم مسموح في سبيل البقاء، حتى طرد العرب من الضفة الغربية، فليقولوا عنا إننا نازيون، ماذا لو قتلنا من العرب مليوناً، أو حتى ستة ملايين؟ ماذا سيحدث؟ سيكتب التاريخ عنا صفحتين فقط مجللتين بالسواد، وسيكون ثمن ذلك عظيماً، سيأتي إلينا يهود الشتات، ونصبح أمة تعدادها خمسة وعشرون مليوناً (يهود العالم خمسة عشر مليوناً فقط) أمة تدعو للاحترام، وبعد ذلك سينسى التاريخ، ويأتي أدباؤنا ليكتبوا روايات عظيمة عن المذابح التي ارتكبناها في حق العرب، وسيحصلون على جوائز نوبل مثلما فعل أدباء النازية.

والـذي سيحدث أنـه بـالـرغم من هـذه الجـرائم التي سنرتكبها، سنجد في جميع أنحاء العالم من مـوسكو إلى بكين إلى واشنطن من يتمسح فينا ويتودد إلينـا، ويخطب ودنا، برغم أيادينا الملطخة بالدماء. ما العيب في أن يكون لكل دولة سجل إجرامي، إن كل الدول الكبرى لها مثل هذا السجل، ثم أصبحت الآن محترمة ومتحضرة، ونسيت ماضيها الإجرامي القديم... سأعقد معك صفقة مغرية، سأقوم أنا بالدور القذر: القتل والطرد (أي للعرب) وتقوم أنت بالدور الطيب النظيف، ستدعو إلى المظاهرات التي تتعاطف مع مصير العرب السيء، ستكون أنت الرجل الذي تتشرف به العـائلة، وسأكـون أنا النقـطة السوداء على ثـوب ناصـع) هذاالحوار لو أسند إلى أي ألماني نازي لصـدقه النـاس، ولقالوا في النازية وأصحابها أكثر مما قالوا. ولكن صدق ذلك اليهودي الذي قال بأن الصهاينة تعلموا من هتلر أكثر مما تعلموا من موسى عليه السلام.

وإنهم تسحرهم القوة، فهم يعشقونها وليقـل العالم عنهم ما شاء. إنهم متعطشون للقتل، وبالملايين.

الشيء الذي يصعب فهمه لمـاذا كل هـذا الحق على الشعب الفلسطيني؟ وهو لم يفعل شيئاً، فهو المطرود من أرضه المطارد في كل مكان؟؟.

٢ ـ لشاؤول تشرغوفسكي قصيدة عنوانها «بقـوة روحي» يصف فيها شعور اليهودي الصهيوني تجاه الأغيار فيقول[١]:

يا سيفي أين سيفي، سيفي المنتقم؟
أعطني سيفي لأنتصر على أعدائي
أين أعدائي؟ سوف أصرعهم
وأحطمهم وأقطعهم إرباً
سوف أقطع كالحاصد، وأجتز جذورهم
سأجعل سيفي يشرب فخوراً من دمهم
ستستحم خطواتي في دماء الصرعى
وتدوس قدماي على شعر رؤوسهم
سأقطع باليمين وأحصد بالشمال
فلقد اشتعل غضبي، وصار جحيماً
لقد ضايقني كثيرون، ولكني لن أبقي أحداً بعد المذبحة
نعم سأفنيهم حقاً
يا سيفي أين سيفي؟ أين سيفي المنذر؟
أعطني سيفي ، فلن أغمده مرة أخرى
حتى أذبح كل أعدائي
لست أطيق الاحتمال، لقد أشرقت[٢] روحي

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٢) بل أظلمت كظلام أيام التتار في بغداد .

وغضبي مشتعل، وقلبي تل يتحرك
وسرى في عروقي تيار من شرار جارف

هذه القصيدة أهديها لشعرائنا «المراهقين» الذين ما تزال قلوبهم تطوف حول «صنم» امرأة جميلة.

وأهديها لبعض الحكام الذين أمسى همهم الأول البحث عن متطرفين أصوليين لا وجود لهم إلا في مخيلة الحاكم المريضة.

وأهديها أخيراً إلى كل ضابط في جيش عربي، عساها تهيج الحماس في قلبه، وتجعله يفكر بالثأر لأمته، وليس بالانقلاب وسرقة كرسي الحكم في ليلة شتاء مظلمة، نام فيها الحارس وأخذ «الضمير» فيها إجازة طويلة.

الفصل الثالث

الاستعمار والصهيونية
« الأستاذ والطالب »

من المعلوم أن الاستعمار قديم، عرفته البشرية أيام الامبراطوريات، وتداولته الأمم، وكان السند الأول هو «القوة» فالقوي له أن يستعمر الضعيف، ولعل اليونان هم أول من حاول أن يفلسف الاستعمار ويجد له المبررات الخلقية، من هنا راحوا يقسمون البشر إلى إنسان كامل الإنسانية وآخر ناقصها، والثاني كالحيوان، خلق ليكون عبداً للأول، وقد حاول «أرسطو» أن يسبغ على ذلك مسحة عقلية حين قال: خُلق البشر على فصيلتين: واحد بعقل كامل، وإرادة تامة، وهم اليونان، وهؤلاء خلقهم خالقهم لخلافته، والسيادة على سائر خلقه، أما الفصيلة الثانية فتشمل غير اليونانيين، وقد زود هؤلاء بقدرات جسمية، كي يكونوا عبيداً مسخرين لليونان.

وقد رتب على ما تقدم، وجوب استرقاق غير اليونانيين، وأن شن الحرب عليهم تكون مشروعة مقبولة.

وبوحي من هذه الفلسفة العجيبة، راح اليونان يضربون الرق على شعب بكامله. كما كانوا يعتبرون استرقاق الأسرى من الواجبات، وليس من المباحات.

وكان الجديد في الاستعمار الحديث هو التوسع، ففي خلال القرن التاسع عشر، قفزت نسبة الاستعمار من ٣٥٪ من مساحة الأرض إلى ٨٥٪ منها، كما جرى في هذا القرن، تضاعف وازدياد في نفوس الأوروبيين بشكل مدهش، ففي عام (١٨٠٠ م) كان عدد النفوس في أوروبا (١٨٧) مليوناً، ارتفع إلى (٤٠١) مليوناً عام (١٩٠٠ م)، وصاحب ذلك كساد اقتصادي، بحيث صار ما بين خمس إلى سدس مجموع السكان، يعيش على الصدقات[1].

وإن أكثر من نصف الفلاحين في روسيا صار عاجزاً عن إطعام نفسه، وقامت اضطرابات، وأحرقت محلات وطرح شعار «الخبز أو الدم»[2]، وكان رد الفعل يسير باتجاهين:

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٩٤.

(٢) وفي الأربعينيات طرح الشيوعيون شعار (نريد خبزاً) فكان شعاراً بارداً لاطعم له

١ ـ التوسع في الديمقراطية وتوزيع الثروة توزيعاً أعدل.

٢ ـ رفض هذا الطرح، والاعتماد على المستعمرات والهجرة إليها، بهدف امتصاص الفائض البشري [١].

وعلى أثر ذلك قامت في بريطانيا وحدها (١٠٣) جمعيات تعمل على التشجيع على الهجرة، كعلاج للفقر والتسول، وزيادة السكان.

ومن أهم المؤسسات كانت «جمعية الاستعمار القومي» التي أسسها «أدوارد غيبون» لاستعمار جنوبي أستراليا، على أساس الحكم المحلي الذاتي، وتحت حماية دولة استعمارية كبرى، مع إقامة صندوق خاص للتمويل، وبشرط أن يمارس المهاجرون الزراعة بأنفسهم، وعندها يمكن أن يعيشوا وينتجوا في آن واحد[٢].

وقد استوحى الصهاينة من هذه التجربة الكثير من أساليبهم، فاشتغلوا بالزراعة، وأقاموا الصندوق الاسرائيلي، لشراء الأرض وتمويل المستعمرات الزراعية. لذا كان الإنكليز متفهمين جداً لمشاريع الاستيطان اليهودي، بل متعاطفين معها.

---

(١) تكوين الصهيونية ص ٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ .

وقد جرى تسخير العلم ليكون في خدمة الاستعمار، كما جرت محاولات لأن يكون هذا الاستعمار فعالاً، مع إسناده بمحتوى فلسفي أولًا، واقتصادي ثانياً.

من هنا وجدنا تقسيمات للبشر لا حصر لها، وكلها تلبس ثوب العلم، وترتدي جلبابه، من ذلك تقسيم الشعوب إلى:

أ - شعوب متمدنة ينبغي أن تتمتع بحقوق سياسية وغيرها كاملة.

ب - شعوب نصف متمدنة، يكفي أن تتمتع بحقوق جزئية.

جـ - شعوب غير متمدنة، لها بعض الحقوق العرفية غير الملزمة.

وفيما يصنف شعب «كذا» من الصنف الأول أو الثاني أو الثالث، يضيع هو، وتأكل حقوقه، ويدفع إلى ذيل القافلة، والويل للضعيف.

جاء بعد ذلك تصنيف المخلوقات، من حيوان ونبات وغيرها إلى أنواع وأجناس وسلالات، يتميز بعضها عن بعض، وإلى هنا والقضية سليمة ولا اعتراض عليها، حتى إذا جاء «دارون»[1] أخذ هذه النظرية ليطبقها على البشر،

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ١٣٢ .

متناسياً كافة أوجه التشابه والتماثل، مركزاً على أوجه الاختلاف، فقسم البشر إلى : جنس أبيض وأحمر وأسود وأصفر وأسمر، ولا اعتراض على هذا التقسيم، لكنه رتب عليه نتائج خطرة.

فقد اعتبر البيض جنساً يتمتع أفراده بالعقلانية، وسلامة التفكير، وسرعته، مع القدرة على السيطرة. أما السود فهم كسالى خاملون، بل عاجزون عن التفكير السليم. والصفر جبناء ماكرون، والحمر متوحشون، وهكذا تحول البشر إلى سلالات لكل منها صفات خاصة به، بعضها عقلي وبعضها خلقي أو سلوكي.

جاء بعد ذلك تلاميذ «دارون» وشراح نظريته، ليضعوا قواعد عجيبة «مفصلة» على الاستعمار، وكأنها جاءت لتبريره فقط من ذلك[1]:

= دارون: (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) بريطاني الأصل تخرج في كامبردج أهم كتبه (أصل الأنواع . . .) صدر عام ١٨٥٩ (وسلالة الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس) صدر عام ١٨٧١ م.

ينظر الموسوعة العربية الميسرة ٧٧٤ وموسوعة السياسة ٢/٦٤٢.

وقد قام تلاميذه من بعده بشرح نظرياته والتوسع فيها، وجاء أخيراً من ثار عليها وهدمها، وسلب عنها الوصف بالعلمية.

(١) القومية عرض وتحليل / د. بويد شيفر ص ٥٢٤.

١ ـ إن البشر مختلفون بالطبع، ويظهر ذلك من سماتهم البدنية والعقلية.

٢ ـ إن بعض الأجناس أصلح بالطبع، لـذا فهي أرقى وأرفع.

٣ ـ إن بعض الأمم أصلح بالطبع، لذا فهي أرقى وأرفع.

٤ ـ إن الطبيعة والتطور صنعا البشر كذلك، وعلى هذا فإن بعض الأمم يجب أن تسود، وبعضها الآخر يجب أن تكون خادمة ومسودة.

إن رائحة «الاستعمار» تثور من هذا العلم الداروني، فقد نسق وأعدت مقدماته لهذه النتيجة الغريبة، التي يمكن أن تكون: إن العالم فيـه فاضـل ومفضول وكفى، كمـا توحي المقدمات.

ولم يقف «الدجل العلمي» عند هذا الحـد، فمن أجل البرهنة على ما تقدم، راحوا يبحثون في فصائل الدم، ولون العيون والشعر، وحجم الجمجمة، ولون البشرة، ويصنفون البشر كما لو كانوا أنواعاً من الذباب أوالبعوض.

ولحسن الحظ فإن الطب أثبت أن فصائل الدم محدودة، وهي تختلف في العائلة الواحـدة، وأن أشكال الـرأس لا تختلف كثيراً.

لقد شوه العلم وسخر لأغراض غير شريفة ولا نبيلة، وهي تنزل بالإنسان إلى مستوى الحيوان. فمن المبررات الخلقية لاستخدام الحيوان عدم فهمه، فجاء من يزحزح الإنسان، أو بعض أجناسه بحيث يكون قريباً من الحيوان، وعندها يمكن استغلاله والتحكم فيه، ولا بأس بالكذب، والقول بأنه يريد «تمدينه»، فكل المستعمرين كانوا يتذرعون بأن هدفهم من الاستعمار تمدين شعوب المستعمرات، وحين رفضتهم الشعوب،فتحوا النار عليها وقتلوها. ميدان آخر اشتغل فيه العلماء، واستغله واستثمره دهاقين الاستعمار، ذلك هو تقسيم اللغات وتصنيفها إلى مجموعات، لكل خصائصه.

فهناك اللغات الهندية الآرية، واللغات الحامية، والسامية.

وإن اللغات الآرية تمتاز بالإبداع[1] والحيوية والجمال،

---

(١) استعير نص من (ديورنث) في كتابه القيم قصة الحضارة يقول فيه (كان المسيحيون من رجال الدين وغيرهم، يغدون بكامل حريتهم، وهم آمنون من جميع أنحاء أوروبا إلى قرطبة أو طليطلة أو إشبيلية، طلاباً للعلم أو زائرين أو مسافرين،وقد شكا أحد المسيحيين من نتيجة هذا التسامح فقال (إن إخواني المسيحيين يعجبون بقصائد العرب وقصصهم، وهم لا يدرسون مؤلفات فقهاء المسلمين وفلاسفتهم ليردوا عليها ويكذبوها، بل ليستعلموا الأساليب العربية الأنيقة الصحيحة.. واحسرتاه إن الشبان المسيحيين الذين اشتهروا بمواهبهم العقلية، لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة، غير علوم العرب =

أما السامية فتتصف بالعجز على التجدد. ثم جاء «رينان» ليقول[1]: (إن التميز والتفوق الآري ليس مقصوراً على الجانب اللغوي، بل يشمل كذلك العقل والثقافة والمجتمع والحضارة) فماذا بقي بعد هذا؟؟ إنها صنعة محبوكة، كل الطرق فيها تؤدي إلى روما، وكل شيء في خدمة الاستعمار، السيد الجديد.

أما القفزة الثالثة فتشمل السلالات والأعراق، وكل ما تقدم من تطور في العلوم، صار يخدم من يشتغل بذلك، لذا سارع المشتغلون إلى تصنيف البشر إلى مجتمعات وسلالات متقدمة، صاحبة ثقافات متحضرة، وأخرى غير متحضرة. وماذا يترتب على هذا يا سادة يا علماء؟؟.

يترتب عليه بداهة، أن الإنسان المتحضر يتمتع بقدرة على

= وآدابهم ولغتهم، فهم يقبلون في نهم على دراسة كتب العرب، ويملأون بها مكتباتهم، وينفقون في سبيل جمعها أموالاً طائلة، وهم أينما حلوا يتغنون بمدح علوم العرب) أ.هـ، قصة الحضارة ١٣/٢٩٧.

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ١/١٣٣.
رينان: مستشرق فرنسي، صاحب مؤلفات كثيرة، عرف عنه دراسته للدين من زاوية التاريخ، من كتبه: تاريخ شعب إسرائيل، وحضارة العرب، عاش ما بين ١٨٢٣ - ١٨٩٢ م وعرف بميله للإلحاد، الموسوعة العربية الميسرة ٩١٣.

استغـلال أرضه وتنميتهـا، والإبداع في شتى الفنـون، مع القدرة الكبيرة على الإعمار والبناء، والنشاط الحضاري. في حين أن الإنسان غير المتحضر على العكس، يهمل أرضه أو يستخدمها استخداماً سيئاً. فماذا يترتب على كل هذا؟؟

يترتب على ذلك أن يمنـع هذا الإنسـان المتخلف من ذلك، وحدث لأول مرة في التاريخ، أن مُنعت شعوب في أمريكا وأفريقيا وآسيا من استثمار أراضيهـا ـ وهي كل مـا تملك ـ، لتسلم إلى أجانب يزرعونها ويستثمرونها، وينعمون بخيـراتها. وهكـذا بدأت حـركة تهجيـر واسعة، وتجـريـد لأصحاب الأراضي منها، ليحل مكانهم مستوطنون جاؤوا من وراء البحار، ليقيموا مستعمرات هنا وهنـاك، وعلى أفضل الأراضي وأخصبها.

وهكذا فعلت وما تزال تفعل اسرائيل تغتصب الأرض من الفلسطيني، مرة بشراء مزور، ومرة باسم مصلحة الجيش، ومرة بحجة غياب صاحبها، ثم تسلمها للقادم من روسيا أو أمريكا[١]، وقد يعود الفلسطيني المنكود ليعمل فيها أجيراً، إن عطف عليه وسمح له بذلك.

---

(١) يقول (هس) ملك العنصرية (سيعيد رأسمالكم الحياة للأرض القاحلة، وسيحول عملكم وجهدكم مرة أخرى القرية القديمة إلى وديان مثمرة ـ متى كانت الأولى؟ ـ بعد أن تنقذوا الأرض من براثن =

وقام فلاسفة الاستعمار ليقسموا أراضي العالم إلى صنفين:

١ ـ صنف فارغ (حتى لو كان مسكوناً).

٢ ـ صنف مشغول تقطنه مجتمعات متحضرة.

ثم جرى سلب الأراضي الجيدة من الصنف الأول، لتسلم للإنسان الأبيض ـ والصهيوني المدلل ـ وفي قرارات مدروسة متتابعة، اعتبرت ملايين الأفدنة والهكتارات من الأراضي الأفريقية والآسيوية والأمريكية، أراض «خالية» وأبعد عنها أصحابها ليستلمها السيد الجديد ـ وهكذا تفعل اسرائيل كل يوم ـ عند ذلك انفتحت الشهية الأوروبية، وقامت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حملات واسعة لاقتسام الأراضي «الخالية» وتشجيع السيد الأوروبي ليهاجر إلى هناك، ووجد في إنكلترا وحدها (١٠٣) مؤسسات ترعى الهجرة وتنظمها، وتخصص المال لذلك، وقد كان كل ذلك يقع أمام أعين الصهاينة وسمعهم، فلا عجب أن أعادوا كل ذلك في فلسطين، مع فارق واحد نسوه هو «الزمن» وقد

= رمال الصحراء الممتدة، بعد ذلك سيقدم لكم العالم من جديد آيات الولاء والاحترام) ومن يدري فقد يقبل أقدامك ويلحس.... منكم !!! (الصهيونية العنصرية ص ١/ ٨٩).

وجد ـ تحت تأثير هذه الحمى ـ من يقول بأن العناصر غير البيضاء، ليست من البشر[1].

وقام دهاقين الاستعمار ليعلنوا: أنهم بغزوهم العالم لا يستهدفون أراضي المتخلفين فقط، بل يهدفون لإزالة العناصر غير الصالحة للحياة، وهكذا أقيمت المعتقلات في هذه القارة وتلك، لاحتجاز الألوف من العناصر غير البيضاء (ومنع التواضع اليهود من إعلان ذلك، واكتفوا بالتطبيق العملي، وبعد مدة لن يبقى شاب فلسطيني واحد لم يدخل السجن والاحتجاز، والضرب والإهانة والتشريد، كما أن تجمعات اللاجئين ما تزال خير شاهد ودليل).

وقام في الغرب من ينادي بوجوب أن تحكم هذه العناصر المتخلفة من قبل الإنسان الأبيض، ولا يترك لهم فرصة حكم أنفسهم، وأن السود أطفال بحاجة إلى من يرعاهم (أما الصهاينة فاقتداءً بسادتهم ينكرون على الفلسطينيين حق تقرير المصير، وتكوين دولة خاصة بهم).

وقد كان السبّاق في هذا الميدان ـ الحضاري العظيم والإنساني النبيل ـ المهاجر الأميركي الذي أباح لنفسه، ليس

---

(١) كان اليهود أكثر تواضعاً حين قالوا عن الفلسطينيين أنهم بدو، قذرون، متخلفون.

طرد الهنود الحمر، بل قتلهم ونشر الأمراض الفتاكة بينهم، وإذا كذبونا في ذلك، فهذه شهادة لرجل قانوني كبير، وعلم من أعلام الفكر الغربي، إنه مونتسكيو، صاحب «روح القوانين» فقد كتب يقول[1]: (إذا كان عليّ أن أدافع عن حقنا المكتسب، في اتخاذ الزنوج ذوي البشرة السوداء عبيداً، فإنني أقول: إن شعوب أوروبا - وقد أفنت سكان أمريكا الأصليين، لم يكن أمامها إلا أن تستعبد شعوب أفريقيا، لكي نستخدمها في استصلاح أرجاء أمريكا الشاسعة، وما شعوب أفريقيا إلا جماعات سوداء البشرة، من أخمص القدم إلى قمة الرأس، ذات أنوف فطساء إلى درجة يكاد يكون من المستحيل أن ترثي لها، وحاشا لله ذي الحكمة البالغة أن يكون قد أودع روحاً - أو على الأخص روحاً طيبة - في جسد مالك السواد) ا هـ.

هذه الشهادة لا تخزي صاحبها، بل تخزي الحضارة الغربية وأيتامها الأحياء والأموات. فرجل قانوني يبرر إبادة الهنود الحمر ويتقبلها، ثم يرى من المناسب جداً استعباد

---

(١) فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم/ زكريا هاشم ص ١١٢. مونتسكيو/ شارل دي مونتسكيو: مفكر فرنسي ١٦٨٧ - ١٧٥٠ م مؤلف (روح القوانين) الذي صدر في جينف عام ١٧٤٨ م بعد جهد استمر (٢٠) عاماً، كما أصدر قبله (نظريات في أسباب عظمة الرومان وسقوطهم) عام ١٧٣٤ م.

السود، من أجل استصلاح الأراضي الأميركيـة، كي ينعم «السيد» لمجرد أن بشرته بيضاء.

يا رجل القانون هلا اقترحت طلاء السود بدهان أبيض مثلاً!! ولا أبالغ إذا قلت أن في قلب بن غوريون وشارون وبيغن وأمثالهم، يعيش مونتسكيو وتسري روحه في دمائهم، ولا يجدون الشجاعة ليبوحوا بمثل مقالته. كما لا أشك أنهم من أكثر الناس إعجاباً به.

أما الشهادة الثانية فهي من جنرال (شيرمان) الأمريكي عما يعـرف باسم «لائحـة الجـامـوس»، والتي بمـوجبهـا أمكن استغلال المناطق الغربية من الولايات المتحدة، التي كان يقطنها الهنود الحمر، مع (٩) ملايين رأس جاموس.

يقـول الجنرال[1]: (وفقـاً لأدق التقديـرات، التي أمكنني التوصل إليها، بلغ عدد الجاموس في السهول الواقعة بين نهر الميسوري وجبال روكي عام ١٨٦٥ م نحو (٩) ملايين رأس، أمكن الآن القضاء عليها كلها، إذ استخدمت لحومها للطعام، وجلودها وعظامها لأغراض مختلفة... وقد يبدو ذلك عملاً قاسياً، أشبه ما يكون بالقتل - ما هذا التواضـع الكبير يـا جنرال؟! - ، ومع ذلك فقد أمكن الاستعاضة عنها بضعف

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ١٣٣ .

العدد من الأبقار النظيفة - لمصلحة من يا سيد؟! - وفي ذلك العام نفسه كان هناك نحو (١٦٥) ألف نسمة من القبائل الهندية الغربية المختلفة، التي كانت تعتمد في غذائها على تلك الجواميس، هؤلاء أيضاً ذهبوا - كيف وهل جرى الاستفادة من لحومهم وجلودهم وعظامهم أم لا؟ - وحلّ محلهم ضعف عددهم من الرجال والنساء البيض، الذين حولوا الأرض إلى أرض مزدهرة كالورد، أضف إلى ذلك أن هؤلاء الناس الجدد يمكن تعدادهم وجباية الضرائب منهم - وهذا شيء عظيم جداً جداً - وإدارة شؤونهم وفقاً لنواميس الطبيعة والحضارة يا سلام على هذه الحضارة وأصحابها وهكذا فإن التغيير كان مفيداً وسنستمر به حتى النهاية).

والسؤال: هل كثير على التلاميذ «الصهاينة» إذا استولوا على الأراضي الفلسطينية أو قتلوا الفلسطينيين، أو هدموا دورهم ومساكنهم، أو قطعوا أشجارهم وكرومهم، أو رموهم في السجون، أو حتى خارج الحدود؟؟.

إنهم في كل ذلك لم يتجاوزوا ما فعله «الأساتذة» المتحضرون.

والدليل على هذه الشهادة التي كتبها موظف كبير في الوكالة اليهودية ومدير دائرة الاستيطان ما بين ١٩٥١ - ١٩٧٣ م، في مذكراته الخاصة، ثم نقلها عنها أكثر من مرة

فقد كتب يقول[1]:(ينبغي أن يكون واضحاً فيما بيننا، أنه لا مكان في هذه البلاد لكلا الشعبين معاً، فبوجود العرب لا نستطيع أن نحقق هدفنا، في أن نصبح شعباً مستقلاً في هذه البلاد، والحل الوحيد هـو أرض اسرائيـل، أو على الأقل الجزء الغربي منها، بدون عرب، وليست هناك طريقة لتحقيق ذلك سوى نقل العرب من هنا إلى الأقطار المجاورة، نقلهم جميعاً، بحيث لا تبقى قرية واحدة أو عشيرة واحدة - هل سمع أحد بمثل هذه الوقاحة؟ - أما جهة النقل فيجب أن تكون العراق وسوريا وحتى شرق الأردن... ... فبدون عملية النقل والإجلاء هذه، لا يمكن استيعاب الملايين من أشقائنا، وليس هناك أي بديل...).

واطمئن الموظف الكبير، بأن إخوانه مشغولون بأمور هامة أكبر من فلسطين، حيث بيوت الذهب في لندن، وبورصة نيويورك، ومناجم الذهب والماس في جنوب أفريقيا، وعليه وعلى جميع قادة إسرائيل أن يرضوا بالتبرعات والصدقات، فلا هجرة ولا يحزنون. ليلطموا الخدود ويشقوا الجيوب، فـالمهاجـرون ما أن تحط أقـدامهم في أول محطة، حتى يفرنقعوا يميناً وشمالاً، ولا يصـل إلى إسرائيـل منهم إلا الربع، فلماذا هذه اللهفة على الملايين اليهودية من عبـاد

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ٩٦ .

«الكمبيالة» كمـا يقول مـاركس؟ يحملني الإنصاف على أن أسجل هنا صرخة «مارتن بوير» في قومه[1] (لا تستطيع قوة غير قوة ثورة داخلية أن تشفي شعبنا من مرضـه القاتـل، المتمثل في كراهية لا داعي لها، فهذه الكراهية قمينة بأن تلحق بنا دماراً كاملاً، وحين تقوم هذه الثورة الداخلية فقط، يدرك الشباب والمتقدمون في السن مدى جسامة المسؤولية التي نتحملها، بسبب الشقاء الذي سببناه لأولئك اللاجئين العرب البؤساء، الذين أسكنا في مدنهم وقراهم يهوداً، جيء بهم من أماكن نائية، أولئك العرب الذين ورثنا بيوتهم، ونقوم بحـراثة حقـولهم، وحصـد حـاصـلاتهم، وقـطف ثمـارهم وكـرومهم، ونبني المـدارس ودور العبـادة، والمؤسسـات الخيريـة في مدنهم التي نهبناها، في الوقت الذي لا نكف فيه عن الثرثرة بتشنج وهذيان: بـأننا شعب التـوراة، ونور الشعوب) ا هـ.

وينقل د. أدوارد سعيد عن ماركس مفارقه «يهودية» حيث

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ٢٢١ .

مارتن بوير : ١٨٧٨ ـ ١٩٦٥ م صهيوني ومن مفسري التوراة ، ولد في فيينا، وانضم للحركة الصهيونية عام ١٨٩٨ م وترأس تحرير (دي فيلت) ثم اختلف مع هرتزل فقد كان رومانسيا، بينما كان هرتزل سياسياً. من كتبه (موسى وإسرائيل والعالم) موسوعة المفاهيم ص ١٠٩.

يقول[1] (على الرغم من قسوة الاستعمار البريطاني وشراسته، فإنه يمكن أن يكون مفيداً للهنود، وأن يحولهم إلى شعب عصري، ويحررهم من تخلفهم الشرقي).

وقياساً على هذا المنطق «الماركسي» نقول بأن الروس يحررون الأفغان اليوم، ويخففون من كثافة السكان، ويعلمونهم كيفية استخدام الأسلحة الحديثة، فشكراً للروس في حملتهم الحضارية التقدمية، المعادية للاستعمار.

وقد لخص الدكتور أدوارد خصائص الاستعمار الحديث بأربع خصائص :

١ ـ التوسع الأقليمي.

٢ ـ إرادة الهيمنة على المجتمعات الأخرى.

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ١٣٤ .

ماركس: ١٨١٨ ـ ١٨٨٣ م يهودي ألماني درس القانون لكنه آثر الاقتصاد والفلسفة الاجتماعية ، جرى اضطهاده بسبب نشاطه السياسي ، فذهب إلى باريس ، وهناك التقى بأنجلز وتعاونا على إصدار البيان الشيوعي الأول (المنشور الشيوعي) هاجر يصحبه أنجلز إلى أنكلترا ، وأسس ماركس المؤتمر الاشتراكي العالمي ، وأخرج الجزء الأول من كتابه (رأس المال) وبعد وفاته أخرج أنجلز الجزأين التاليين. رأى فورة الاستعمار وتكالب الدول على المغانم فتصور أن المادة هي كل شيء،الموسوعه الميسرة ص ١٦١٥ .

٣ ـ تصنيف الكائنات الطبيعية والبشرية بطريقة منهجية إلى متقدمة ومتخلفة ، ومتطورة وغير قابلة للتطور.

٤ ـ إضفاء ستار علمي منطقي على جميع هذه الأفكار والمفاهيم، بهدف إخفاء حقيقة الغزو والاستعمار.

وبالنسبة للصهيونية يقول الدكتور أدوارد سعيد[١] (إن الصهيونيين الأوائل اقتبسوا من الأجواء الأوروبية، التي نشأوا فيها فلسفة الفكر الإمبريالي وإسلوبه وموقفه، من الأقطار والمناطق الشرقية[٢].

ومعروف أن الكثير من رجال الأعمال اليهود مثل «بارون

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٤ .

د. أدوارد سعيد: فلسطيني الأصل، أمريكي الجنسية، أستاذ في الأدب الإنكليزي عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، صاحب عدة كتب، منها (الاستشراق) وقد فضح المستشرقين وعرّى الاستشراق بما كشف من كذب واحتيال ومغالطات لكبار المستشرقين. وقمت بالتعريف به في مجلة عالم الكتب.

(٢) قامت في أوروبا عند اشتداد البطالة (في القرن التاسع عشر) مدرسة (الإصلاح الاستعماري) دعت إلى تحويل الفائض من سكان أوروبا إلى المستعمرات واستخدامهم في الزراعة، وتحقيق المشروع في ظل حماية دستورية وسلطة استعمارية، ثم الانتقال للحكم الذاتي، وكان في بريطانيا وحدها (١٠٣) جمعيات لهذا الغرض. وتلقف الصهاينة ذلك، وأعادوا تطبيقه كاملاً في فلسطين حتى لقد صرح النائب اليهودي يوري أفنيري بأنه يوجد في إسرائيل نظام استعماري فيما يتعلق بالسكان العرب. (الصهيونية والعنصرية ص ٤١).

هيرش وآل روتشلد[1]، كانوا في طليعة القائمين بتمويل المشاريع الاستعمارية، حتى قبل ظهور الصهيونية، ولقد صيغ المشروع الصهيوني بشأن فلسطين، على غرار الأساليب ذاتها التي انتهجها البريطانيون والفرنسيون والألمان والأميركيون والروس، في مشاريعهم الرامية إلى التوسع الاقليمي. وتوجهت الدفعة الأولى من الصهيونيين إلى فلسطين بالروح نفسها، التي كان الأوروبيون يتوجهون بها إلى الأقطار والمناطق، التي اعتبروها خالية من السكان والحضارة.

أما السكان العرب الأصليون في فلسطين، فكان الصهيونيون يعتبرونهم متخلفين، أو غير موجودين على الإطلاق (٢) وأما الحقوق اليهودية[3] في فلسطين فقد صيغت

---

(١) آل روتشلد: أسرة يهودية من أصحاب الملايين تعود للقرن السادس عشر، كبير العائلة هو (ماير روتشلد) خلف خمسة أولاد، ذهب أحدهم إلى لندن والثاني لفرنسا والثالث لإيطاليا والرابع لالمانيا، وإلى (والتر ليونيل) وجه وعد بلفور، وكان لنفوذ هذه العائلة وأموالها تأثير كبير في نكبة فلسطين وهم أول من أقام فيها مستوطنة زراعية كان جل عمالها من العرب.

(٢) من هنا أطلق الصهاينة شعار (وطن بلا شعب، لشعب بلا وطن) وهو من أكبر وأعظم الكذب.

(٣) **الحقوق الصهيونية في فلسطين:** =

بلغة قانونية أو حتى غيبية، على غرار ما كانت تفعله الدول الإمبريالية في مستعمراتها المختلفة... ولعل العمل المأساوي الذي ابتليت به الصهيونية يكمن، في أنها ولدت في أجواء الاضطهاد الأوروبي لليهود، بل في أجواء كانت تعتبر اضطهاد اليهود جزءاً من الاضطهاد الأوروبي للشعوب السوداء والصفراء والسمراء والحمراء. ومع ذلك فقد آثرت أن تتحالف لا مع المضطهدين مثلها، بل مع مضطهديها بالذات) اهـ.

وكان الأمل أن يتحالفوا مع العناصر ـ غير البيضاء ـ التي كانت مضطهدة . وسبب هذه المفارقة في تصوري راجع ، إلى عشق الصهاينة للقوة ، وتحالفهم مع الأقوياء، لمجرد كونهم أقوياء، وحيث إن «الأبيض» هو القوي، فما الداعي لمحالفة الضعيف؟؟ مثل هذا لم يحصل من اليهود قديماً، ولن يحصل من الصهاينة حديثاً ، إلا إذا جرى «تشخيص خاطىء» فقط . بعد هذا يقارن الدكتور سعيد بدقة ونجاح بين الطالب وأستاذه ، بين الصهاينة والاستعمار، فيما يخص المناطق «الخالية من السكان» والانفصال عمن حولهم ، وتشرب العنصرية ، والتغني بها،

ويخلص في النهاية إلى[1] (. . . فالصهيونية هي من الناحية النظرية صورة متكررة للإمبـريالية الأوروبيـة[2]، وإن كانت متدنية عنها. . . وهي صورة تدعو إلى السخرية في محاكاتها للإمبريالية الأوروبية، فالصهيونية كالإمبريالية منهج فكري[3]،

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ١٣٥.

(٢) الحقيقة أن الصهيونية قد وعت الدرس فقامت بإحداث تغييرات تناسب وضعـها فقط، وهذا سيتضح قريباً إن شاء الله.

(٣) يتمثل هذا المنهج بدرس المشاكل وإدراك طبيعتها، ثم طرح حلول يسهل على العقل الغربي تقبلها، من ذلك مثلاً: مشكلة التشتت، فاليهود منذ ألوف السنين وهم مشتتون في العالم، مما جعل الفروق بينهم كبيرة جداً، بحيث لا يمكن تجاوزها، فجاء الحل بأن ألهب الصهاينة مشاعر «الوحدة» ، فهم شعب واحد، يؤمن بإله واحد، ويتبع كتاباً واحداً، بل راحوا يقولون بأنهم «جنس» واحد ـ مع أن ظاهر الحال يرفضه ـ وبالرغم من قيام الدولة، فما زال هذا الصراخ على أشده.

ونظراً لأن «التشتت» ما زال، فقد وجدوا أن خطر الامتصاص والاندماج يهددهم، وهو خطر يمكن أن يضيع عليهم ملايين من اليهود، لذا خرجوا بمقولة «خصوصية اليهود» فهم كأمـه وشعب متحدون موحدون، إلا أنهم يختلفون في الثقافة وقيم الحضارة، وهم في نفس الوقت متميزون عن سواهم، لذا فمن المتعـذر إدماجهم أو اندماجهم في المجتمعات والشعوب الأخرى، وكل هذا من خصوصياتهم.

وبسبب هذه الخصوصية كان تعرضهم للاضطهاد من الآخرين، ولما كان هذا الشعور مختزناً لدى الأمم، ولا مجال للتخلص منه، لذا لا خلاص لليهود إلا بقيام مجتمع خاص بهم، ودولة تحمي هذا المجتمع.

ونظراً لبحث الغرب عن جذور له في الثقافة اليونانية، فقد تلقف الصهاينة ذلك، وراحوا يرجعون إلى تاريخهم في فلسطين، يوم كانت لهم دولة تجمعهم، حتى هاجمهم الآخرون وقضوا على تلك الدولة، وأخرجوا شعبها من فلسطين، ومع الشتات كان التطلع على الدوام للعودة إلى أرض الآباء والأجداد. علماً بأن الثابت أن ثلاثة أرباع اليهود كانوا خارج فلسطين قبل سقوط القدس[1].

والشيء الذي يخفونه ولا يذكرونه، هو أن حروبهم الداخلية، وقتلهم لعشرات الألوف من إخوانهم، كما تذكر ذلك التوراة بالأرقام، وحربهم الشرسة بين دولتيهم في الشمال والجنوب، كل ذلك وغيره مكن للآخرين من غزوهم، وتدمير دولتهم، ثم تشتيتهم، وإلا لماذا كان هذا نصيبهم، دون مواطنيهم الآخرين؟؟.

حتى إذا استقروا واغتنوا أصبحت فلسطين قضية عاطفة، وترف فكري، يقول المؤرخ الأمريكي أ. ت. أولستد (كان من الصعب التوقع أن يترك اليهود، بعد أن اغتنوا بابل الخصبة من أجل هضاب اليهودية الجرداء) وحين دعاهم «قورش» ابن اليهودية، إلى العودة إلى فلسطين، فضل جمهورهم البقاء وعدم الرحيل، ولو قامت ألف حرب فلن يترك اليهود نيويورك والبورصة، ولن يترك يهود جنوب

(١) المشكلة اليهودية الحركة الصهيونية/بديعة أمين ص ١٩.

أفريقيا مناجم الذهب والماس أبداً. وقد بح صوت اسرائيل بالدعوة للهجرة ولا من مجيب.

المهم إن وضع القضية، بالصورة التي يرسمها الصهاينة، توصي بأن حل قضية اليهود هو بوجود مجتمع خاص، ودولة تحميه في فلسطين، ولا حل غير ذلك. وقد حاولوا البحث عن مبررات يقبلها العالم فكان مما جاؤوا به:

١ - كل شعب من شعوب العالم له دولة ترعاه وتنظم شؤونه، واليهود شعب، وفلسطين أرضه، وهو مرتبط بها تاريخياً، وقد خرج من هناك بفعل بعض الأمم المعادية له، ومن حقه أن يعود إلى أرض أجداده.

٢ - إن قيام دولة يهودية هو الحل الأمثل لمشاكل اليهود، فهم يختلفون عن غيرهم، الذين ما زالوا يكرهونهم، ولا يستطيعون أن يتخلصوا من هذا الكره، وقيام الدولة يخلص اليهود، ويضع حداً لمعاناتهم، ويخفف الاحتكاك بينهم وبين هؤلاء «الأغيار».

٣ - إن عودة اليهود إلى فلسطين لن تثير شيئاً، ففلسطين أرض بلا شعب فما المانع أن تعطى لشعب بلا أرض؟.

فإذا قيل بأن فلسطين مسكونة بشعب منذ ألوف السنين، استعاروا من الاستعمار منطقه وقالوا: ليس فيها سوى مجموعة من البدو يمكن أن يهاجروا إلى البلاد العربية المجاورة التي بإمكانها أن تستوعبهم وملايين أخرى معهم.

٤ - إن عودة اليهود لفلسطين ستنقل للمنطقة المتخلفة عنصراً حضارياً جيداً يبث فيها الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وعلى العموم

يحكم كـل شيء في الدولـة التي تتبنى مفاهيمهـا، بـدءاً بمؤسسات تلك الدولة، ومروراً بسكانها الذين قد يكونون يهوداً أو لا يكونون، وانتهاءً بسكانها الذين قد يملكون أرضاً أو لا يملكون. . .) ١ هـ.

إن الصهيونية نشأت وتكاملت في الغرب، وصادف قيامها توسع الاستعمار وانتشاره، حتى شكل كافة الأقطار والقارات ـ باستثناء أوروبا ـ لذا راح الصهاينة يراقبون ذلك، ليأخذوا منه ما ينفعهم ويصلح لهم، وما يهملوا جانباً ولا حجة ولا سنداً حقوقياً أو عملياً، إلا فحصوه جيداً ليستقروه في المستقبل.

= سيقـوم تعاون بين الـطرفين، هؤلاء بأمـوالهم وهؤلاء بخبراتهم وعتولهم، حتى تفيض الأرض ذهباً وعسـلاً. والنتيجة معـروفة: حروب متصلة أكلت كل شيء.

٥ ـ لما كانت الصهيونية حركة اشتراكية، فهي ترفض كل استغلال من الإنسان لأخيه الإنسان، وستكون نقطة إشعاع للعدالة الاجتماعية الديمقراطية، وهذا المنطق يستهدف هجرة اليهودي كما يستهدف الإنسان الغربي كي يمنح دعمه وتأييده ورضاه.

وإلا فالإشعاع العنصري هو الذي رأيناه حتى اليوم.

وغداً سيكون الإشعاع القاتل، من ذلك المخزون النووي الذي لا يعلم أحد متى ينطلق ليقتل البشر والحيوان في المنطقة.

وقد وصل بهم الحال، إلى تبني القوانين البريطانية، التي وضعها الإنكليز خلال انتدابهم على فلسطين، والتي كانوا يصبون عليها وعلى أصحابها اللعنة، يوم كانت تطبق عليهم، وعلى شعب فلسطين، وهم اليوم يطبقونها بأشنع صورها، وعلى أوسع نطاق، على الشعب الفلسطيني، وإذا ما جرى استنكار قالوا: هذه قوانين الإنكليز.

حقاً إن الصهاينة تلاميذ «نجباء» للاستعمار الحديث، عليه تتلمذوا وبه تترسوا، وعلى هداه يسيرون، وما زالوا لمشاريعه يخلصون، يحاولون دوماً الجمع بين مصلحتهم ومصلحته، يثيرونه على أعدائهم، ويستخدمون مخزونه من الكره، وهم بعد ذلك يتملقونه ويطرون حضارته، ويصفون عدوهم بأنه من عالم آخر، ومعاد لحضارة السيد المستعمر... الخ.

وقد درس الموضوع عبد الوهاب المسيري[1] فسجل أربع علامات تميز الاستيطان الصهيوني عن الاستعمار الاستيطاني الحديث هي:

---

(١) قدم لمؤتمر طرابلس بحثاً بعنوان «علامات مميزة للاستعمار الاستيطاني الصهيوني» حاول فيه تلمس الفروق بين الاستعمارين (الصهيونية حركة عنصرية ص ١٥١).

١ ـ إن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، مبني على نقل اليهود من الخارج إلى فلسطين، ويسمي ذلك «عودة» إلى أرض الآباء والأجداد، فالصهيوني عائد ومحرر، وليس كالأوروبي الأجنبي مغتصب. وهو يحاول إفراغ فلسطين من سكانها، ليحل مكانهم صهاينة عائدون، بينما كان الاستعمار الغربي يقوم على سلب قسم من الأرض وإنشاء مستعمرة عليها، ولا مانع عنده من استعمال السكان الأصليين فيها. أما الصهاينة فقد صمموا ابتداء على تشريد الشعب الفلسطيني، وعدم استعمالهم أبداً، وقد نص عقد الوكالة اليهودية، مع كل يهودي يستأجر منها أرضاً، على أن يتعهد بأن لا يشغل أي موظف أو عامل غير يهودي، أو يتعامل مع أي شخص غير يهودي[1].

ووصل الحال بوزارة الزراعة، متعاونة مع دائرة المستوطنات إلى فرض غرامات على من يشغل عربياً في مزرعته[2].

وانتهى المسيري إلى القول[3]:(. . . لعل الصهيونية تمثل

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ٧١.
(٢) الصهيونية حركة عنصرية ص ٧٨.
(٣) الصهيونية حركة عنصرية ص ١٥٢.

فى ذلك «أصفى» أنواع الاستعمار الاستيطاني، ذلـك أن سياسـة نقل السكان الأصليين تساعد على ضمان الاستقرار، لمجتمع المستـوطنين وفي الوقت نفسـه، تدميـر البنيان الاقتصـادي والثقافي للسكان الأصليين المنقولين تدميراً كاملاً).

وقد وصف أحد الصهاينة معاملة قومه للعرب، ومحـالة تعليلها فقال «آحاد هعام»[1] لقد كان اليهود عبيداً في بلاد الشتات، وفجأة يجدون أنفسهم متمتعين بالحرية، وهذا التغيير أيقظ في نفوسهم ميلاً نحو الاستبداد والتحكم، ومن ثم نجدهم يعاملون العرب بعدوان وقسوة، ويحرمونهم من حقوقهم، ويسيئون إليهم، بدون سبب، بل إنهم يفاخرون بما يفعلون، دون أن يقوم بيننـا من يعارض هـذا الاتجاه الخطر، الذي يستحق الازدراء).

وهناك شهادة غريبة «لموشى دايان» جديرة بالتسجيل يقول فيها [2](ليس صحيحاً أن العرب يكرهـون اليهود لأسبـاب شخصية أو دينية أو عنصرية، إنهم يعتبروننا بحق ـ من وجهة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢١.
(٢) المرجع السابق ص ٢٨.

نظرهم ـ غربيين وأجانب وغزاة، جاؤوا ليحتلوا بلداً عربياً ويحولوه إلى دولة يهودية).

والإنسان يمكن أن يتفهم لماذا يكره الفلسطيني الصهيوني، لأنه اعتدى عليه، وسلبه أرضه وأمواله، وقتل أولاده، ونسف داره، ومنعه من إقامة حكومة له. . . الخ.

أما حقد اليهودي على الفلسطيني فغير مفهوم، إلا إذا نظرنا من وجهة عنصرية وحضارية، فهذا المتخلف الفلسطيني ليس من حقه أن ينازع المستعمر الجديد المتحضر، القادم من أمريكا أو أوروبا.

و «لإسحاق دويتشر» وجهة نظر يقول فيها[1]: (إن الإسرائيليين ليسوا عملاء مستقلين، ذلك أن عوامل تبعية إسرائيل هي إلى حد ما، كامنة في تكوينها بالذات، في تاريخها على مدى عقدين من السنين، فكل الحكومات الإسرائيلية قد ركزت وجود إسرائيل على «التوجهات الغربية» ولقد كان هذا وحده كافياً لتحويل إسرائيل إلى قلعة حدودية غربية في الشرق الأوسط، وبالتالي إدخالها في النزاع الكبير، الناشب بين الإمبريالية، وبين صراع الشعوب العربية في سبيل تحررها).

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٨.
(٢) المرجع السابق ص ٢٣٠.

وأختم بما قال «يهودا ماغنس»(*):(هل يصبح اليهود هنا (في فلسطين) من أنصار اللجوء إلى القوة الشرسة والروح العسكرية، وهم يعملون على إقامة جسم عضوي سياسي، كما كان يفعل بعض الحشمونيين؟ يبدو أننا فكرنا في كل شيء إلا في العرب، فلئن كانت لدينا قضية عادلة، فإن لديهم هم أيضاً قضية عادلة، وإذا كانت قد قطعت لنا وعود، فقد قطعت للعرب أيضاً وعود، وإذا كنا نحب أرض فلسطين، ولنا ارتباطات تاريخية بها، فللعرب مثل ذلك، وإذا كنا نرغب في أن نعيش في هذه البقعة من الأرض، فإن علينا أن نعيش مع العرب، ونحاول مصالحتهم.

فنحن نعيش متطفلين على الديمقراطيات الغربية، ولا بد لنا من أن نسعى إلى إقامة كيان ودي صديق، لا يقوم على

(*) يهودا ماغنس: ١٨٧٧ ـ ١٩٤٨ حاخام أمريكي صهيوني، رأس الجامعة العبرية بالقدس وحين قامت الحرب العالمية الأولى كان من دعاة «الموقف السلمي» فغضب عليه «الاتحاد الصهيوني» فاستقال عام ١٩١٥ من الحركة، هاجر إلى فلسطين ١٩٢٢ وقد أحس بالمخاطر التي تترتب على إنشاء الوطن اليهودي على الشعب الفلسطيني لذا قام بتكوين جماعة «عهد السلام» ثم جماعة «الاتحاد» وكان ينادي بدولة مستقلة مزدوجة الجنسية لذا أصدرت الجامعة العبرية تعلن أن لا علاقة لها بنشاط ماغنس، لذا ترك إسرائيل ومات في نيويورك. (موسوعة المفاهيم ٣٤٨).

أساس القوة، بل على أساس التضامن والتفاهم الإنسانيين) اهـ.

وهذه الأفكار والأماني أبعد ما تكون عن الصهاينة، فهم يعتقدون أن القوة وحدها ستحمل العرب على الركوع أمامهم، وما داموا يرفضون ذلك، فيجب ضربهم بكل قوة. ولا عجب في هذا المنطق ما دام صاحبه ممن يعشق القوة، ومن يرضى أن يصارع «يعقوب» الله تعالى ويصرعه.. فالقوة هي الدين الجديد لإسرائيل، وهي تجد في العالم من يشجعها، ويمدها بأسباب القوة، فلماذا تفكر بالتفاهم أو التضامن كما يريد ماغنس؟؟.

١ ـ الاستقلال الصهيوني والتبعية في آن واحد

حين قام الاستعمار الغربي بإنشاء مستعمرات خارج وطنه، كانت مرتبطة بالوطن الأم، لذا ما أن واجه البيض الضغط، حتى تركوا المستعمرات كلياً، ورجعوا إلى أوطانهم، واليوم لا يوجد منهم إلا بضعة ألوف في روديسيا (زمبابوي)، والاستثناء الوحيد هم العنصريون في جنوب أفريقيا، أما من عداهم في أفريقيا وأسيا فلا وجود له. في إسرائيل حصل العكس، يُضايق الفلسطيني ويُرهب حتى يهاجر، وإلا طرد وأبعد، وهذا لا نظير له، وفي نفس الوقت تسعى إسرائيل للاستقلال عن الدول الحامية لها، مع الاحتفاظ بالعلاقات

المفيدة، كتبادل المعلومات والاستخبارات، وتنقل رؤوس الأموال وما أشبه، مما يعود على الدولة اليهودية بالفائدة، أو يمنحها وضعاً أفضل.

وهنا يتطابق الموقف مع العنصريين في جنوب أفريقيا، إذ استقلوا منذ عام ١٩١٠، وقطعوا صلتهم بالوطن الأم، لذا فهم يرددون: لا وطن لنا، ولن نخرج حتى نموت أو نموّت غيرنا.

وإسرائيل ما زالت تسير في الاتجاهين معاً: تعميق الاستقلال، وتمتين الروابط مع الدول الحامية.

ولعل السبب أن الصهاينة جاؤوا من عدة دول ـ كما هو حال العنصريين في جنوب أفريقيا ـ واليهودي ليس له ولاء لأحد، فكلهم «أغيار» أشرار، لا خير فيهم.

والملاحظ أنه كلما زاد الضغط على الصهاينة ودولتهم، إزدادت تبعيتهم «للأسياد» وقد تكهن الإرهابي «جابو تفسكي»[1] بهذا الارتباط نظراً للعداء المحيط بإسرائيل، إلا

---

(١) جابو تنسكي: فلادمير جابوتنسكي ١٨٨٠ ـ ١٩٤٠ زعيم الصهيونية التنقيحية، ولد في روسيا، وشارك في تأسيس «الصندوق القومي اليهودي»، واللواء اليهودي الذي حارب في الحرب العالمية الثانية، كما شارك في مقاومة المظاهرات العربية في القدس عام ١٩٢٠ م. =

أنه تصور التحالف سيكون مع بريطانيا، فاخطأ في ذلك، لأن اليهود طلقوا بريطانيا وتزوجوا أمريكا، ولا يعرف أحد من يتزوجون غداً.

٢ - التوسعية والوحدوية

تميز الاستعمار الاستيطاني الصهيوني عن الاستعمار الحديث، بأنه صاحب طبيعة توسعية، ووحدوية في آن واحد.

فإسرائيل دولة «اليهود» من النيل إلى الفرات، ومن جنوب تركيا إلى النيل، ومع ذلك فهي الدولة الوحيدة في العالم، التي لم ترسم حدودها، بل لم تضع لها دستوراً كي لا تحرج في تثبيت الحدود، وهي التي تحلم بتوسيعها كلما أمكن. وهذه الدولة لكل اليهود، وهم اليوم أكثر من (١٥) مليوناً،

= في عام ١٩٢٣ أسس في بولندا حركة (بيتار) بهدف الدفاع عن اليهود، وإعداد الشباب للحياة في فلسطين. وفي عام ١٩٢٥ أسس (الاتحاد العالمي للتنقيحيين) حيث كان يطالب بالحديث الصريح عن إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، بينما كانت الصهيونية تواري وتنافق. وفي عام ١٩٣٥ أسس (المنظمة الصهيونية الجديدة) وكان يدعو إلى سياسة القوة ضد العرب، وهو رائد الإرهاب الصهيوني، وخليفته وتلميذه «بيغن» موسوعة المفاهيم ص ١٤٧.

فإذًا حشروا في فلسطين ـ ولن يحدث ذلك مع وجود البورصة في لنـدن ونيويـورك ـ فهذا يعني أن الـدولة تحـولت إلى حوض. . سمك، يأكل كبيره صغيره.

من هنا نفهم الحديث المتكرر عن «إسرائيل الكبرى».

ومن حسن حظ العالم، فإن الاستعمار الحديث لم تكن له أحلام من نوع «إسرائيل الكبرى» فانتشر في القرن التاسع عشر، ثم جمع «صبيانه» ورحل في القرن العشرين، وإن كان «الكبار» ما زالوا يحلمون بتلك الأيام، ولكن من يملك أن يرجع عجلة التاريخ إلى الـوراء؟؟ إن الكبار مـا زالوا يحلمون «بيالطة» جديدة يقتسمون فيها النفوذ، أما الاستعمار، بمفهوم القرن الماضي، فقد مات مع مـوت الأمبراطـورية البريطانية والفرنسية، وهيهات أن تبعث في ميت الحياة قبل يوم القيامة.

وقد تحدث «غاي باجويت» عن هذا الموضوع قائلاً[1]

غاي باجويت: أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الكاثوليكية في لوفين (بلجيكا) وصـاحب كتاب «التمييـز العنصري والصهيـونية» المشهـور، وقد شـارك في مؤتمر طـرابلس ببحث «الصهيـونيـة والإمبريالية».

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ١٤٦.

(إن اسرائيل تتصف بطابعين متناقضين: فهي أمبريالية وتابعة في آن معاً.

إنها دولة إمبريالية، من حيث أنها تؤدي دوراً أمبريالياً بالنيابة عن الدولة التي هي تابعة لها. وهذا دون شك «نمط فريد» من الإمبريالية، وإن كانت البرازيل وإيران - إيران الشاه - تلعبان إلى حد ما دوراً مماثلاً، أضف لذلك أن الإمبريالية الاسرائيلية خلافاً لإمبريالية الدول الغربية، لا تنطوي على الهيمنة الاقتصادية، أو هي تنطوي على ذلك إلى مدى محدود فقط... إنها أقرب ما يكون إلى حركة شبه إمبريالية وعسكرية، تنفذ مخططاتها عن طريق الحرب. وأخيراً لا بد من الاعتراف أنه من غير الممكن، جعل دور إسرائيل مقتصراً على «كلب الحراسة» بالنسبة للإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط، إذ هي تواصل تنفيذ مخططاتها في الاستعمار الاستيطاني، طبقاً لاستراتيجيتها الخاصة، وهذا المخطط لا يتطابق بالضرورة مع الاستراتيجية الإمبريالية الأمريكية[1]، وليس في ذلك ما يدعو للدهشة، فالإيديولوجية

---

(١) من الملاحظ أن أمريكا كانت تلتزم جانب الصومال، وتدعمه بالسلاح والمعونة الاقتصادية، بينما إسرائيل توثق علاقتها مع حبشة (مونجستو) الشيوعي وتدعمه بالسلاح والمدربين وكثير من الخبرات. ولاندري أهو من توزيع الأدوار، أم تملك إسرائيل مثل هذا الحق، الذي لايملكه حليف أمريكي آخر؟!

الإسرائيلية، لا تتفق دوماً مع الإيديولوجية الإمبريالية، كما أن الحركة الصهيونية لم تكن متفقة دوماً مع الحركة الاستعمارية الاستيطانية العالمية...

ماذا نستطيع أن نستخلص من ذلك كله؟ من المؤكد أن الدولة الإسرائيلية تقوم بمهمة إمبريالية في الشرق الأوسط، ولكنها نمط خاص من الإمبرياليات، فهي عسكرية، وشبه إمبريالية، لأنها تابعة لإمبريالية أخرى في نفس الوقت، ومع ذلك فليس من الممكن جعل إسرائيل مجرد خادم للإمبريالية وحسب، فهي مستمرة في تنفيذ المخطط الصهيوني، الذي هو في الواقع مشروع استيطاني، ... إن نجاح المخطط الصهيوني لاستعمار فلسطين، والاستيطان فيها، يعتمد كلياً على قيام إسرائيل بمهمة إمبريالية بالنيابة عن الدول الغربية، ولا سيما الولايات المتحدة، فهي تتلقى من الولايات المتحدة بوجه خاص المساعدات الاقتصادية والرساميل، لموازنة اقتصادها، وإنماء هذا الاقتصاد، كما تتلقى كميات هائلة من السلاح، وينعم معظم سكانها بمستوى عالٍ، لكي تغري أكبر عدد ممكن من يهود العالم «بالعودة» كل ذلك تتلقاه مقابل الحرب التي تشنها على العرب، ولكن شن هذه الحرب، هو كذلك سبب بقائها معزولة وسط محيط معاد لها، كما هو سبب بقائها معتمدة اقتصادياً على الدول الغربية. وهكذا تجد اسرائيل نفسها تدور في حلقة مفرغة

شـريرة، سـداها ولحمتهـا عنصران متنـاقضان همـا التبعية والإمبريالية في آن معاً).

وقد كشف الكاتب أن إسرائيل كدولة، تعتمد على توازن مهزوز، يستند إلى ثلاثة شروط [1].

١ ـ الحفاظ على الوحدة الداخلية، وبذل الجهود لتيسير مستوى من المعيشة مرتفع، ووجود تهديـد خارجي يـرص الصفوف.

٢ ـ الحفاظ علي رغبة اليهود في القوة، أو رغبتهم في استمرار وجود دولتهم بحيث تكون ملجأ لمن يريد ذلك [2].

٣ ـ المسـاندة غيـر المشروطـة التي تقدمهـا الـولايـات المتحـدة، وبقيـة الـدول الغـربيـة، بحيث تغـطي العجـز الاقتصادي وتساند الموقف السياسي. فإذا اختل واحدٌ من هذه الشروط أو أكثر، فمن المحتمل أن تعجز إسرائيل عن الاستمرار والبقاء كدولة يهودية، كما رسمت ذلك الصهيونية.

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٧.

(٢) واليوم فكل يهودي مجرم مطلوب، أو مختلس يهرب إلى إسرائيل، فتوفر له الحماية والغطاء، وأمريكا والغرب تغض الطرف عن هذا كما يغضون الطرف عما تقوم به إسرائيل من خطف وعـدوان خارج أراضيها.

٣ ـ التفاوت الثقافي بين المهاجرين اليهود

إن المستعمرات الاستيطانية الغربية، كانت صغيرة نسبياً، وكان أفرادها على تجانس كبير، حتى البيض في جنوب أفريقيا، مع تعدد الجنسيات والثقافة تقاربوا واندمجوا بفضل الإقامة الطويلة، والخضوع لبرنامج تربوي واحد، مع الخوف من السود. كل هذا وحدهم.

أما يهود إسرائيل فكانوا في البداية من يهود الغرب، ذوي الثقافات والأصول المختلفة، ثم تدفق على إسرائيل اليهود من البلاد العربية وإيران وتركيا والهند، والفلاشة أخيراً، فانقسم المجتمع إلى يهود شرقيين وغربيين.

الغربيون يسيطرون على الوظائف الكبيرة والجيش، أما الشرقيون فنصيبهم سلاح الحدود والشرطة، وبعض الوظائف الدنيا، وهم الأقل ثقافة والأكثر أولاداً وفقراً، وكل طرف لا يثق بالآخر، ولا ينظر إليه نظرة ود ومحبة.

هذه الظاهرة لم يعرفها الاستعمار الاستيطاني الغربي.

يذكر «نصير عازوري» في بحثه القيم «اليهود الشرقيون في اسرائيل»[1] أن الارتباط بين الفقر واليهود الشرقيين واضح

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ١١٣.

جداً من تقرير اللجنة الخاصة «بالأطفال والفقر» التي شكلها رئيس وزراء إسرائيل، فقد تبين أن ٩٥٪ من الأطفال الذين اعتبرتهم اللجنة في حالة «بائسة» هم أطفال ينتسبون إلى أسر شرقية. كما يشير الكاتب إلى أن صحيفة «معاريف» نشرت في ١٣/٤/١٩٧٣ أن لجنة كشفت أن «خمس» السكان يبلغ دخلهم ٦٪ فقط من الدخل القومي، وهؤلاء كلهم من أصل أفريقي وآسيوي.

كما يذكر أن معهد «زولد» نشر تقريراً عام ١٩٧٢ كشف فيه أن أكثر من (٢٠٠) ألف طفل في إسرائيل يعيشون دون «خط الفقر» منهم ٨٤٪ من أصول أفريقية وآسيوية.

وقد كتب «سعاديا ماركيانو» المنحدر من أصل عربي قائلاً[١] (عندما يمتنع يهودي من روسيا عن تناول الطعام لمدة أربع ساعات، فإن ذلك يعتبر إضراباً عن الطعام، ولكن إذا عجز طفل يهودي شرقي في إسرائيل، عن إيجاد شيء يأكله مدة «عشر ساعات» فلا أحد يبالي بذلك.

لا يهمني ما إذا كانت ستمنع هجرة المزيد من يهود روسيا إلى إسرائيل، فهل هم قادمون لبناء الدولة اليهودية، أم لأخذ دولتي؟؟

---

(١) الصهيونية حركة عنصرية ص ١٢١.

نحن اليهود الشرقيين «السفاراديم» نعرف شيئاً واحداً، لو كنا فارين من روسيا، بسبب ما نلاقيه من اضطهاد، لما كنا نحتاج إلى إثارة ضجة كبيرة، لكي نتسلم شقة مؤلفة من خمس غرف، حين نصل إلى إسرائيل. وحين يطلب يهودي شرقي، مضى عليه في إسرائيل عشرون عاماً غرفة إضافية، تجيبه الحكومة: الفانتوم) [1].

وقد كتبت الكاتبة الاسرائيلية «سيلفيا كيشيت» عبارات ساخرة تقول: [2](على جميع ذوي العلاقة أن يواجهوا مشكلات أساسية لئلا يستمروا في أن يسمعوا من الشباب اليهودي اليائس، والخائب الأمل عبارة «إن اسرائيل هي دولة اليهود الغربيين» أو يقرأوا شعارات من نوع «غولدا علمينا اللغة الإيديشية» [3] أو «غولدا أرسلينا إلى روسيا لكي نعود مهاجرين، نتمتع بحقوق متميزة».

وكل هذا يصور واقعاً أو حاجزاً بين اليهود الشرقيين والغربيين.

---

(١) إشارة إلى أن الدولة مشغولة بتوفير السلاح، ولا يشغلها توفير غرفة للسفاراديم.

(٢) الصهيونية حركة عنصرية ١٢١.

(٣) غولدا مائير روسية المولد، والإيديشية، لغة يهود روسيا. وهي خليط من العبرية والألمانية وغيرها.

ومع وصول «الفلاشة» فسوف تتعقد المشاكل، وتظهر النزعة العنصرية، ليس ضد العرب فقط، بل ضد الملونين من اليهود وقد أخذت إسرائيل تمتنع عن منح المواطنين الأمريكيين السود تأشيرات دخول إلى إسرائيل، وإن كانت تحالفهم في أمريكا وتتملقهم بشكل دائم.

ملحق

الحقوق الصهيونية المدعاة في فلسطين

١ ـ الحـــق التـاريخـــي

١ ـ يدعي الصهاينة ـ وما أكثر ما يدعون ـ بأن لهم حقوقاً.. تاريخية.. في فلسطين، لأن أجدادهم سكنوها فترة، إلا أنهم لا يقولون إن كانت فلسطين في ذلك الوقت خالية أم مسكونة من قبل شعوب عدة، أعتقد أنه لولا خشية الفضيحة لقالوا ذلك، ولسوء حظهم فالتوراة تذكر تلك الشعوب بأسمائها، كما تذكر المعارك التي خاضوها مع اليهود، وما زال أبناء أولئك لم يغادروا أرضهم، ولا هجروا وطنهم، أما اليهود فأقاموا مدة ثم هاجروا وتفرقوا في الأرض، وهم كاذبون في دعواهم أن الأجانب أجلوهم بالقوة عنها، فهم قبل سقوط ملكهم كان ثلاثة أرباعهم خارج فلسطين، يوم أن سقطت القدس، فمن أجدادهم؟؟.

وإذا كان كل شعب أقام في مكان تثبت له مثل هذه الحقوق، فعلى هيئة الأمم أن تعيد توزيع الشعوب من جديد على الكرة الأرضية، وعندها قد لا تجد شعباً يبقى في مكانه الحالي.

٢ ـ الحـــق الدينـــي

يدعي اليهود بأن نصوصاً في توراتهم ـ التي قال عنها أبا إيبان يوماً وهو

(خرفان) : إنها كتبت في السبى ـ ووعوداً تقول : بأن الله وعد إبراهيم عليه السلام بأن يعطيه أرض كنعان ، ووعوداً أخرى ـ يفوح منها رائحة الكذب اليهودي ـ بأن الله قال لليهود كل شبر أرض تطأه بطون أقدامكم أعطيه لكم .

هذه الوعود في كتابهم الذي أصابه التحريف والتبديل، باعتراف من (٣) آلاف من القسس، كلفوا بدراسته، فقالوا بأن كلام الرب قد اختلط بكلام البشر. وقد نسخ بعد قيام السيد المسيح عليه السلام، ونزول القرآن وعلى فرض صحة النصوص، فهل هي مشروطه أم لا؟؟ فالله تعالى حين وصف الأمة الإسلامية بالخيرية جعلها مشروطه **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** فهذه الخيرية مشروطة بشروط متى فقدت، زالت صفة الخيرية، وهذا مقتضى العدل الإلهي.

لكن اليهود يرفضون كل شرط، بل تعلل توراتهم الأمر تعليلاً غريباً جداً، جاء في سفر التثنية ـ وهو من الأسفار التي أطلق عليها جارودي صفة : أسفار العنصرية ـ (ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها، لأنك شعب صلب الرقبة) التثنية الإصحاح ٩/٥ ـ ٦.

فإذا كان الشعب المدلل.. صلب الرقبة.. فلم هذه الوعود؟ وبماذا يستحقها؟ إن هذا مخالف للعدل الإلهي.

والأعجب من كل ذلك دعواهم بأن هذه الوعود أزلية، علماً بأنها لم تتحقق إلا لعشرات السنين، على عهد داود وسليمان عليهما السلام، ومن بعدهما انتهت السيطرة الاسرائيلية، وتشرد اليهود، بينما بقيت تلك الشعوب في مكانها تزرع أرضها، وتعيش على خيراتها.

والأمر الملفت للنظر أن هذه الشعوب لم تتعرض للسبي والتشريد كما تعرض اليهود، فلماذا؟؟.

ولنفرض أن اليهود تركوا دينهم، وتحولوا حتى لعبادة الأصنام كما تذكر التوراة، فهل تبقى هذه الوعود بعد الكفر؟ وإذا بقيت فأين وجه العدالة في ذلك؟؟ أمن أجل سواد عيون اليهود فقط؟؟!! وهذا سفر التثنية يضع النقاط على الحروف فيقول:(قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر، بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طريقه، وتحفظ وصاياه، وفرائضه وأحكامه، لكي تحيى وتنمو، ويباركك الرب إلهك في الأرض، التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها، فإن انصرف قلبك ولم تسمع، بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها، **فإني أنبئكم أنكم لا محالة تهلكون)** التثنية الإصحاح ٢٠/١٥ - ١٨.

وقد تكرر هذا في أسفار أخرى كالخروج ١٩/٥ والملوك الثاني ٩/٢ وكيف يتصور رضى الرب يقول كتابهم:(وعمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلهم، أموراً ليست بمستقيمة... وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسواري... وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات، وعملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب... وعبدوا الأصنام ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم، وشهاداته التي شهد بها عليهم، وساروا وراء=

الباطل، وتركوا جميع وصايا الرب، وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين[1]، وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء، وعبدوا البعل، وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عين الرب لإغاظته) الملوك الثاني الإصحاح ١٧/٩ - ١٧.

فماذا بقي من الجرائم والآثام لم يرتكب؟ وهل بعد الكفر ذنب؟؟ كيف يعهد الله لأمة تغيظه وتصنع عجلاً وتعبده، وتعبد صنماً أو أصناماً؟! فهل لمثل هذه الأمة حق، وحق ديني؟!! وهي الكافرة بدينها؟؟ لنستمع (لأرميا) يصرخ (ها أنذا أطعم هذا الشعب أفسنتيناً وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها ولا أباؤهم، وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم) أرميا الأصحاح ١٥/٩ - ١٦ .

وما دمنا في الحديث عن أرميا فلنقرأ قوله (هكذا قال الرب، وإن نقضتم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل، حتى لا يكون نهار ولا ليل في وقتهما، فإن عهدي مع داود عبدي ينقض.... إن كنت لم أجعل عهدي مع النهار والليل، فرائض السماوات والأرض، فإني أرفض نسل يعقوب وداود عبدي، فلا آخذ من نسله حكاماً لنسل إبراهيم، وإسحاق ويعقوب...) أرميا الأصحاح ٣٣/ ٢٠ - ٢٦.

هذا هو المنطق السليم: متى نقض اليهود عهد الله، فإنه تعالى لا ينفذ وعده وعهده لهم، لأنهم إنما يستحقون الوعد والعهد بالاستقامة، فإن عزفوا وكفروا فلا عهد لهم..

هذه الأمة هل يعقل أن تكون لها حقوق دينية؟؟

---

(١) المعروف عجل واحد، تقول التوراة بأن صانعه هو (هارون) فمن أين جاء الثاني؟ هل ولده الأول؟؟

لو فتح باب «الحق» الديني ألا يكون من حق النصارى المطالبة بفلسطين، ففيها ولد السيد المسيح عليه السلام وعاش، ومارس الدعوة، ثم صلب ودفن، ثم رفع إلى السماء حسب اعتقاد النصارى. أما موسى عليه السلام فقد ولد بمصر ومات قبل أن يدخل فلسطين، ودفن عند التلة، الحمراء كما تقول التوراة، فمن أحق بفلسطين من هذا الوجه؟؟

٣ ـ الحق القومي

مما أخذه الصهاينة عن مواطنيهم في أوروبا «القومية»، فادعوا أنهم شعب واحد، حتى قال هرتزل (إن اليهود بقوا شعباً واحداً وعرقاً متميزاً، إن قوميتهم المتميزة لا يمكن ولن، ويجب أن لا تتقوض، لذلك لا يوجد غير حل واحد فقط للمسألة اليهودية، هي الدولة اليهودية) الصهيونية والعنصرية ١/٢٤.

وما أظن أن في العالم ـ خارج اليهود ـ من يصدق أن اليهودي العربي والكردي والتركي والفارسي والهندي والصيني والياباني والأوروبي والفلاشة، كل هؤلاء ينتمون لقومية واحدة، وينحدرون من تلك القبائل العبرانية البدوية، التي غزت فلسطين واستوطنتها حيناً من الدهر. خصوصاً إذا أخذنا بتعريف اليهودي بأنه (من كانت أمه يهودية) في ضوء هذا التعريف المعتمد أدعو لقراءة هذا النص من التوراة (. . . فسكن بنو اسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم) القضاة الإصحاح ٣/٥ ـ ٦ فإذا تزوج اليهود من كل هذه الشعوب، فأبناؤهم ليسوا يهوداً، لأن الأمهات غير يهوديات، وأبناء غير اليهود ليسوا يهوداً =

بالطبع، ومن ولد لتلك الشعوب هو اليهودي، فهل هناك مفارقة أغرب من هذه، سوى ادعاء الشعب الواحد؟!!.

بل التوراة تذكر أنبياء بني اسرائيل، وبمن تزوجوا من النساء، فكلهم تزوج أجنبية.. والتوراة تقول بصراحة.. واختلط الزرع المقدس.. فهذا الاختلاط يقضي على.. نقاء.. العرق، ذلك الشيء الذي أخذه اليهود عن رجال العنصرية، أو علّمه اليهود لهم، يقول «أحمد نسيم سوسه» وهو مهندس عراقي يهودي الأصل أسلم ومات مسلماً[1] (انتشر الدين اليهودي بين مختلف الأمم والأجناس، وهذه الأمم اعتنقت الدين اليهودي، وهي تعيش في ديارها وأوطانها، وتتكلم بلغاتها، وتمارس عاداتها وتقاليدها، فقد بدأ التبشير بالدين اليهودي، منذ تكوين الديانة اليهودية، بعد كتابة التوراة، واستمر حتى العصور الوسطى، وعندما أغلق باب التبشير في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي، فقد قضى اليهود أكثر من عشرين قرناً، يعملون بجد ونشاط لنشر ديانتهم، بين شعوب وأمم لا تمت إلى قوم موسى بأدنى صلة، وليست لهم علاقة بفلسطين أو سكان فلسطين، لا من بعيد ولا من قريب، وهؤلاء الدعاة إلى الدين، لم يكونوا دائماً من فلسطين، بل ممن اعتنقوا الدين اليهودي وتحمسوا له). هذه شهادة خبير لا يجادل فيها أحد. وقد رأيت بنفسي، خلال رحلة في أفريقيا، جماعة من اليهود السود، ينفخون بالبوق، ويعلمون الشباب الأفريقي، الديانة اليهودية، ولهم أكثر من مركز للتبشير باليهودية.

وأختم هذا بما قاله عالم الانثربولوجي (أوجين بتار) أستاذ علم

---

(١) العرب واليهود في التاريخ/سوسة ص ٥٥١.

الأجناس بجامعة (جنيف)[1] (إن اليهود عبارة عن طائفة دينية، اجتماعية ، انضم إليهم في جميع العصور أشخاص من أجناس شتى، جاؤوا من جميع الآفاق، فمنهم الفلاشة سكان الحبشة، ومنهم الألمان ذو السحنة الجرمانية، ومنهم التامل السود في الهند، والخزر، والمفروض أنهم من الجنس التركي، ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوي الشعر الأشقر الكستنائي والعيون الصافية اللون، الذين نلقاهم في أوروبا الوسطى، يمتون بصلة القرابة ـ قرابة الدم ـ إلى أولئك الإسرائيليين القدماء، الذين كانوا يعيشون بجانب نهر الأردن).

ويذهب الكاتب اليهودي «إبراهام ليون» لأبعد مما ذهب غيره فيقول[2]: (إن اليهود يشكلون في حقيقة الأمر خليطاً عرقياً متنافراً، والسبب الرئيس في ذلك هو طابع التشتت، الملازم لليهودية، وحتى في فلسطين كان اليهود بعيدين عن تشكيل عرق صاف).

والخلاصة: من كل ما تقدم يمكن القول بأن اليهود طائفة دينية وليست شعباً ولا قومية، فلا عرق يجمعهم، ولا لغة واحدة، ولا ثقافة موحدة، فادعاء الحق القومي أيضاً لا قيمة له ولا سند.

٤ ـ الحق الإنساني

يقول اليهود: لكل شعب دولة ترعاه، وقيام دولة لهم هو الحل الأمثل لمشاكلهم، حيث الاضطهاد يلاحقهم، والمصائب تنهال عليهم، ابتداء من هدم دولتهم وانتهاء بالنازية التي قتلتهم وهجرتهم، وإن كافة الشعوب تختزن قدراً من العداء لهم، لذا لا حل

(١) الاستعمار والمذاهب الاستعمارية/د. محمد عوض ص ١٥٤.

(٢) الماركسية والدولة الصهيونية أديب ديمتري ص ٣٢.

سوى جمع هذا الشتات وتخليصه من الاضطهاد، وتلك حاجة إنسانية ملحة، وحق إنساني لا يجادل فيه أحد.

والسؤال: كان على الدوام في فلسطين أكثر من شعب فلماذا أنصب الاضطهاد على اليهود دون غيرهم؟.

يجيب هرتزل[1] (إن المشكلة اليهودية قائمة، ومن السخف أن ينكر ذلك، فهذه المشكلة تقوم وتوجد حيث يعيش اليهود، مهما قل عددهم، وهي إذا خلا منها مكان استوردها اليهود المهاجرون إليه، إننا معشر اليهود نتجه ـ بطبيعة الحال ـ إلى البلاد التي لا نلقى فيها، اضطهاداً، غير أن مجرد وجودنا في بلد يثير ضدنا الاضطهاد حتماً).

فهل الإجابة كافية؟؟ لا أعتقد..

إن نظرة اليهود لأنفسهم ولغيرهم، وتجمعهم المريب، وطقوسهم المتزمتة ومحاولة السيطرة على اقتصاديات البلاد التي يحلون فيها، واحتكارهم وتعاونهم، واشتغالهم بالربا، كل هذا وغيره سبب لهم الاضطهاد، ليس لهم فقط، بل لكل من يفعل مثلهم، وتقدم أن الهنود في شرق أفريقيا واللبنانيين في غربها يعانون من مثل ما يعاني اليهود مع فارق، أن هؤلاء يشكلون فقط كتلة اقتصادية ينظر لها بعين الحسد.

ونظراً لغرابة الظاهرة واستمرارها، سوف استعرض بعض الأفكار على أمل إلقاء الضوء عليها وعلى الحق المدعي:

أ ـ توينبي: يرى أن ليس من العدالة أن يدفع عرب فلسطين ثمن الجرائم التي قام بها الغرب ضد اليهود، والغرب صاحب

---

(١) الصهيونية بين الدين والسياسة/ الهراوي ص ٢٧١.

توينبي: مؤرخ إنكليزي من مواليد لندن، تخرج في أكسفورد =

إمكانات كبيرة، قياساً على الإمكانات الفلسطينية[1] (أما بالنسبة لادعائهم بأنهم أصحاب حق في المطالبة بتعويضات عن الجرائم التي اقترفها الألمان بحقهم، فإن لهذا الادعاء ما يبرره تبريراً تاماً، ولكن ادعاءهم بأن ما اقترفته النازية بحقهم من جرائم تقضي بإعطائهم وطناً خاصاً بهم، فهو ادعاء مردود من أساسه، فإذا وجد لهذا ما يبرره، فإن هذا الوطن الخاص يجب أن يمنح لهم في الأرض الألمانية، لا في الأراضي العربية، التي يمتلكها أهلها منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً) ا هـ.

ويبدو أن الصهاينة استهدفوا إصابة عصفورين بحجر واحد، وهم خير من يحسن ذلك، فحصلوا في فلسطين على الوطن، وحصلوا من الألمان على الملايين التي استثمروها في تعمير هذا الوطن، وهناك في العالم من يشجعهم ويعاونهم، ومن يسمي عدوانهم «حقاً» ويصفق لضربهم الفلسطينيين بالقنابل الفراغية والعنقودية وسواها.

= ومارس التدريس فيها حتى عام ١٩١٥ ثم التحق بقسم الاستخبارات السياسية في الخارجية البريطانية، ثم عين أستاذاً للتاريخ واللغة الاغريقية بجامعة لندن ثم أستاذاً وباحثاً ومديراً للدراسات بالمعهد الملكي للشؤون الدولية عرف بمواقفه الشديدة تجاه اليهود والصهاينة وشنوا عليه أكبر الحملات. اشهر كتبه «دراسة في التاريخ» طرح خلاله نظريته في التحدي والاستجابة.

الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٦٦.

(١) عقدة النزاع العربي الاسرائيلي / د. مجيد خدوري ص ٤٩.

ب: رسل: يلاحظ الفيلسوف البريطاني «رسل» أن الصهاينة وهم يشكون العدوان، قد اتخذوه مبرراً للعدوان على أهل فلسطين وغيره[1] (كثيراً ما يقال لنا: إن علينا أن نتعاطف مع اسرائيل بسبب ما عاناه اليهود في أوروبا على يد النازيين، ولكني لا أرى في هذا القول ما يبرر إبقاء أية معاناة أخرى، فما تفعله اسرائيل اليوم أمر لا يمكن أن يغتفر، فاتخاذ فضائح الماضي مبرراً لارتكاب فضائح الحاضر هو نفاق ورياء. فإسرائيل لا تقف عند حد إخضاع عدد ضخم من اللاجئين للبؤس والشقاء، ولا تكتفي بإخضاع عدد كبير من العرب للاحتلال العسكري، بل هي تحكم أيضاً على الدول العربية، التي لم يكد يمضي وقت يذكر على خلاصها من الاستعمار، بالتعرض لحالة من الإفقار المستمر، لأنها مضطرة إلى إعطاء الأولوية للمطالب العسكرية وتقويمها على مقتضيات التنمية الاقتصادية الوطنية).

جـ - يقول **اسحاق دويتشر**[2]: (إن المسؤولية بشأن مأساة يهود

رسل: ولد عام ١٨٧٢م وتعلم بجامعة كامبرج ثم اشتغل بالتعليم، وكان من المعارضين للحرب العالمية الأولى فسجن بسبب ذلك وبعد الحرب راح يكتب في الإصلاح الاجتماعي. وهو يجمع بين الفلسفة والمنطق الرياضي، ويعتبر مرجعاً في المنطق الرمزي الحديث، ومن كبار الفلاسفة.

(الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٧).

إسحاق دويتشر: مفكر ومؤرخ ماركسي العقيدة من مواليد بولندا، =

---

(١) الصهيونية، حركة عنصرية ص ٢٠.

(٢) الصهيونية والعنصرية ٢١٢/١.

أوروبا والمذابح التي مورست في مراكز تجمعهم تقع كلياً على عاتق «حضارتنا» الغربية، التي تشكل النازية ابناً شرعياً وإن كان فاسداً لها، ومع ذلك فإن العرب قد دفعوا ثمن الجرائم، التي ارتكبها الغرب تجاه اليهود، وهم لا يزالون مرغمين على دفع الثمن كل يوم، ذلك الضمير الغربي المذنب الذي يحس، هو بالطبع مؤيد لإسرائيل ومعاد للعرب). وبفضل تأييد الغرب لإسرائيل كثر عدوانها وعظم استهتارها، ولو وقف الغرب موقفاً محايداً أو لائماً، لخففت اسرائيل الكثير من عدوانها.

د ـ يقول الفيلسوف الصهيوني مارتن بوبر[1] (إن أغلبية الشعب اليهودي قد فضلت أن تتعلم من «هتلر» أكثر مما تعلمت من «موسى» ذلك أن هتلر أثبت أن التاريخ ليس من نصيب من يملك الإيمان، ولكنه من نصيب من يملك القوة، وإذا ملك القوة، فإنه يستطيع أن يقتل دون حياء) وهذا ما دأبت عليه إسرائيل، فالطفل الذي يلقي حجارة يقتل، والمسكن يهدم، والأشجار تقلع، والأرض تصادر، والكبار يصفقون لهذا الوليد المدلل، فهو يصنع المعجزات.

= زار روسيا عام ١٩٣١ م ففرضوا عليه تدريس الاشتراكية في جامعة موسكو فرفض، طرد من الحزب الشيوعي عام ١٩٣٢، وكان من معارضي «ستالين» والحزب الشيوعي البولندي. وفي عام ١٩٣٩ تحول إلى لندن وراح ينشر مقالات ودراسات عن ستالين وسياسته تروتسكي، ثم راح يدرس في الجامعات البريطانية والأمريكية، وقد عرف بإدانته للصهيونية ومن آرائه أن الحروب لا تحل مشاكل اسرائيل... (موسوعة السياسة ٢/٧٣٥).

(١) مجتمع الكراهية/سعد جمعه ص ١٥٧.

هـ - وأخيراً يقول الكاتب اليهودي الأمريكي «موشى مينوهين»[1] (إن النماذج الجديدة من اليهود التي ظهرت في إسرائيل أخيراً، لا تنتمي إلى اليهود الذين انتمي إليهم، هؤلاء نازيون فقدوا كل شعور إنساني).

فما هو إذن هذا الحق الإنساني؟؟

إن كان لكم حقوق فاطلبوها عند من اعتدى عليكم أو ظلمكم؛ أما أن تساوموا فتقبضوا من الألمان الملايين من الماركات، وتستولوا على الأراضي الفلسطينية وتصادروا المزارع، ثم تقوموا بإرهاب مدروس، تشردون به العرب ثم تلاحقونهم بالطائرات وبكل ما زودكم به الغرب، فهذه نازية جديدة أقبح وأصلف من نازية هتلر، واليوم ما يزال حاخامات ينادون بوجوب طرد الشعب الفلسطيني كله خارج فلسطين، ليفسح المجال أمام يهود قد استقروا في وطن، ويطلب إليهم الهجرة، حتى إذا هاجروا دخل ربعهم فلسطين وثلاثة أرباعهم، راحت تتعبد الله في بورصة لندن أو نيويورك، ثم تدّعون الحقوق الإنسانية، فالأجدر أن يطلق عليكم، وعلى من يشجعكم أعداء الإنسانية.

٥ - الحق القانوني

يدعي الصهاينة أنهم اكتسبوا حقاً قانونياً في فلسطين نتيجة لصدور وعد بلفور، ثم صك الانتداب، وأخيراً قرار تقسيم فلسطين.

ومن المعروف أن بريطانيا أصدرت في الثاني من تشرين الثاني

---

(١) الصهيونية والنازية/عصام شريح ص ١١٢.

عام ١٩١٧ تصريحاً وجهه اللورد بلفور[1] وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد «روتشلد» يعد فيه اليهود، بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وهذا نصه:(إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين الارتياح، إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين، للشعب اليهودي، وستبذل أطيب مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية، التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين - اليهود شعب وغيرهم مجرد طوائف - أو يؤثر على الحقوق، أو الوضع السياسي، الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى. وأكون شاكراً لو تفضلتم فأبلغتم هذا القرار إلى الاتحاد الصهيوني) وما يدري إلا الله كيف يقام للصهاينة وطن قومي في فلسطين، دون أن يؤثر ذلك على حقوق أهلها. على أي حال، يدعي اليهود أن الصياغة لهم، فأنعم وأكرم، أما الضمير البريطاني فيبدو أنه ميت، أو نائم نوم أهل الكهف، ولا أحد يعلم متى يصحو، وقد سبب لأهل فلسطين والمنطقة كل هذا البلاء. إنه تبرع من طرف، يقدم لطرف ثانٍ، أرض طرف ثالث، فهل سمع العالم بمثل هذا «الكرم»؟.

---

(١) **بلفور**: آرثر جيمس بلفور ١٨٤٨ - ١٩٣٠ سياسي بريطاني محافظ كان مهتماً بالمسألة اليهودية، وكان من معارضي دخول اليهود إلى بريطانيا، في عام ١٩٠٦م قابل وايزمن وأعجب به، وحين عين وزيراً للخارجية ما بين ١٩١٦ - ١٩٢٢ أظهر اهتماماً بالصهيونية بسبب ظروف الحرب. وقد افتتح الجامعة العبرية بالقدس.
ويدعي الصهاينة أنهم صاغوا الوعد كما أرادوا.
الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٩٩.

وإذا كان هذا «التبرع» ينشىء حقوقاً، فيمكن غداً أن يتبنى المؤتمر الإسلامي بكافة دوله قراراً مماثلاً، بحيث تكون قبرص كلها من نصيب الأتراك، ويمكن لمنظمة الوحدة الأفريقية، أن تمنح الحبشة هدية إلى جنوب أفريقيا، فهل ينشىء هذا التبرع السخي حقوقاً؟؟ وأخيراً أثبت هنا تصريحاً لبلفور يقول فيه[1]:(لا ريب أن الصهيونية سواء أكانت على حق أم على باطل، وسواء أكانت طيبة أم شريرة - هي مثل بريطانيا ولا نعرف أيهما أخبث - عميقة الجذور في تقاليدنا، وفي حاجاتنا الراهنة، وفي آمالنا المقبلة، وهي أكثر أهمية لنا من رغبات السبعمائة ألف من العرب). وإذا كانت الصهيونية هكذا لماذا لم تمنحوها قطعة من بريطانيا، أو مستعمرة من مستعمراتكم؟؟.

ويعلق رئيس الوزراء البريطاني «لويد جورج» على الإعلان قائلاً[2] (كان إعلان تصريح بلفور أمراً اقتضته موجبات الدعاية). وأعظم بها حجة أخلاقية، فنكبة شعب، وسلب أرضه، وتشريد بنيه، وزج المنطقة بحروب متصلة، كل ذلك معقول أمام «الدعاية» ومع ذلك ما زال من قادة العرب من يحج إلى لندن، ويطلب المشورة والمباركة في كل عمل ينوي فعله «إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور». والإنسان الذي لا يفرق بين الصديق والعدو فهو أعمى . ومع كل ذلك فالتصريح أو الوعد ، يصطدم مع التزامات بريطانيا بمساعدة العرب، في الحصول على الاستقلال عن تركيا، حين قاتلوا بهذا الهدف، كما يتضح من

---

(١) مفارق الطرق إلى اسرائيل ركريستوفر سايكس ص ٥٤.
(٢) اسرائيل فتنة الأجيال/إبراهيم أحمد ص ٢١٩.

مراسلات الشريف حسين مع السير «مكماهون» المندوب السامي البريطاني في مصر وعددها (١٠) رسائل.

كما يناقض معاهدة «بطرسبرج»[1] التي جرت بين بريطانيا وروسيا وفرنسا عام ١٩١٦ م، وفيها تعهد الجميع بالعمل يداً واحدة، في سبيل إنقاذ البلاد العربية وحمايتها، وتأليف حكومة اسلامية مستقلة منها، تتولى بريطانيا مراقبتها وإدارتها، كما يناقض الوعد معاهدة «سايكس بيكو» السرية عام ١٩١٦ م والتي تعتبر مكملة لمعاهدة بطرسبرج، ومن البنود[2] (٣ ـ تنشأ إدارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) بعد استشارة روسيا، والاتفاق مع الحلفاء، وممثلي شريف مكة). فهذه الاتفاقات (معاهدة بطرسبرج، وسايكس بيكو والمراسلات تصطدم كلياً مع وعد بلفور. والعلماء يقولون: الأدلة إذا تعارضت تساقطت، كما يخالف الوعد ميثاق عصبة الأمم، فأي قيمة قانونية لمثل هذا الوعد؟

وكم من وعد مثله أعطي للعرب ثم لحسه كتابه ولم ينفذ شيء منه؟! والحجة الثانية هي «صك الانتداب البريطاني على فلسطين» فهل تملك العصبة هذا الحق؟ لنقرأ الفقرة (٤) من ميثاق العصبة (بعض الشعوب التي كانت خاضعة للامبراطورية التركية، قد وصلت إلى درجة من التقدم يمكن معها الاعتراف مؤقتاً بكيانها كأمم مستقلة، خاضعة لقبول الإرشاد الإداري، والمساعدة من قبل الدول المنتدبة[3]، حتى ذلك الوقت الذي تصبح فيه هذه الشعوب، قادرة

(١) سياسة الاستعمار والصهيونية/د. الخولي ١/١٧٦.
(٢) مدى مشروعية أسانيد السيادة/د. محمد السيد ص ١٦٢.
(٣) المصدر الأول ص ١/٤٠٨.

على النهوض وحدها، ويجب أن يكون لرغبات هذه الشعوب، المقام الأول في اختيار الدولة المنتدبة) ا هـ من المعلوم أن الوعد من إعداد اليهود، وكذلك صك الانتداب، يوم كان الطرفان (صهاينة وإنكليز) في شهر العسل من زواجهم غير المبارك، والذي كان المهر فيه مصالح العرب، وشعب فلسطين، وأرض فلسطين، أما رغبات الشعوب التي جرى الانتداب عليها، فلم يسأل عنها أحد حتى اليوم. وقد «كيفت» الكاتبة اليهودية الأميريكية «بربارة توخمان» الوعد و «الانتداب» على الشكل التالي[1] (إن الانتداب لا وعد بلفور، هو الذي فسح في القانون العام مجالاً لإعادة اسرائيل إلى فلسطين (أين كانت اسرائيل منذ ألوف السنين علماً بأن زعماء اسرائيل يدعون بأنهم أقاموا الدولة بجهودهم، وليس عن طريق الانتداب أو العصبة أو غيرهما فما قول «بربارة»؟) إن وعد بلفور كان إعلاناً لسياسة فقط، وكان بالإمكان لأي وزارة بريطانية تالية أن تتجاهله، أو أن تدع الزمن يمر عليه، أو ترفضه، ولكن الانتداب (أي إدخال الوعد في صك الانتداب) كان التعهد الدولي الذي وقعته دول الحلفاء الكبرى، التي كانت تعمل باسم عصبة الأمم، ثم أكدت فرفعته بذلك، بعد أن وضعته في صك الانتداب إلى مستوى المعاهدات) ا هـ.

ونلاحظ أولاً أن الانتداب جرى رغم معارضة العرب له. ومع ذلك فهل من حق الدولة المنتدبة، من أجل المساعدة الادارية ، أن تهب البلاد لمن تشاء، وتغير في وضعها السياسي والأجتماعي والسكاني؟؟

وهل هناك سابقة في العالم تشبه ذلك؟

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١٨٦.

إن الانتداب لا يمنح بريطانيا ولا غيرها حق التصرف بما انتدبت عليه، بل المطلوب الأخذ بيد المواطنين وتأهيلهم للاستقلال فقط. وحق تقرير المصير، الذي أُقر بعد الحرب العالمية الأولى، وكان حجر الزاوية في تنظيم المجتمع الدولي، هذا الحق أين ذهب؟؟ ولماذا اغتيل؟ ولمصلحة من؟؟

إن صك الانتداب لم تضعه عصبة الأمم، بل بريطانيا والصهاينة، وهذا «هربرت صموئيل» أول مندوب سامي بريطاني على فلسطين يتحدث بصراحة فيقول[1]: (لقد عُينت مندوباً سامياً لجلالته في فلسطين، وحكومة جلالته على دراية تامة بعواطفي الصهيونية ـ وهي مثلك أو أقبح ـ بل لا شك أنني عينت في هذا المنصب بسبب هذه العواطف) ا هـ. ويقول عنه وايزمن[2] (إن هربرت صموئيل نتاج يهوديتنا، ونحن الذين عيناه مندوباً سامياً في فلسطين، لتنفيذ مخططات الصهيونية) ا هـ.

وايزمن/حاييم وايزمن ١٨٦٤ ـ ١٩٥٢ من مواليد روسيا، درس الكيمياء في سويسرا، وحصل على الدكتوراه، من ألمانيا، شارك في المؤتمر الصهيوني الثامن عام ١٩٠٧ وصار من معارضي الصهيونية السياسية، وكان متأثراً بأفكار «احاد هعام» الروحية واستخدم «الصهيونية التوفيقية» عاش معجب بالإنكليز مقدراً أن مركز الثقل سينتقل إليهم، لذا هاجر إلى لندن عام ١٩٠٣ واشتغل مدرساً للكيمياء في جامعة مانشستر، ثم مديراً لمعامل وزارة البحرية البريطانية، وقد انتخب أول رئيس لدولة اسرائيل.

(١) هذه فلسطين /حسين التريكي ص ١٢٠.

(٢) هذه فلسطين /حسين التريكي ص ١٢١.

وكان الانتداب يوجب تكوين حكومة عربية في فلسطين، والمساعدة في تدريبها وترقيتها، وكل ذلك لم يحصل. فأي حق يمكن أن يعطيه الانتداب للصهاينة، وهم الذين ثاروا على الإنكليز - بعد انتهاء شهر العسل - وقاتلوهم، حتى قام الإرهابي «بيغن» بنسف فندق داود في القدس على من فيه،؟ وبقي عشرات السنين لا يدخل بريطانيا. فأي حق يمكن أن يكسبوه من الانتداب، وهذا موقفهم منه؟؟ وأخيراً قامت بريطانيا بإعلان عجزها عن القيام بمهام الانتداب، ففي ١٩٤٧/٩/٢٦ أعلنت أنها آخذة بالخروج من فلسطين بأسرع ما يمكن لعجزها عن القيام بمهام الانتداب، ثم قامت بالفعل بسحب قواتها في ١٩٤٨/٣/١، ومع الانسحاب راحت تسلم الذخيرة والمطارات وغيرها للوكالة اليهودية، حيث ساهمت بقيام إسرائيل وقوتها.

وفي ١٥ أيار ١٩٤٨ غادر المندوب البريطاني ميناء حيفا فجأة، معلناً نهاية الانتداب على فلسطين، وليس من حقه ذلك. ولقد علق المؤرخ توينبي قائلاً[1]: (إن بريطانيا تستحق الإدانة بسبب ما اقترفته من تعام وإهمال متعمد، بالنسبة لكارثة فلسطين). وهكذا توالت الخطوات المدروسة، والتي كانت كلها تصب في الحوض الاسرائيلي، وتخدم الصهاينة، وتضع العرب في أسوأ وأصعب حال.

قـــرار التقســـيم

في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ عرض قرار تقسيم فلسطين بين

---

(١) نهاية اسرائيل/عمر أبو النصر ص ١٤٨.

العرب واليهود، فوافق عليه (٣٣) دولة ورفضه (١٣) وامتنع عن التصويت (١٠) وتغيبت دولة واحدة، فمن مجموع (٥٧) دولة وافق (٣٣) على التقسيم.

وتضمن القرار إقامة دولة عربية، وأخرى يهودية، على أن تكون القدس، وبيت لحم تحت إدارة دولية. ويومها أعلنت إسرائيل (أقرت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة قراراً يدعو إلى تأسيس دولة يهودية مستقلة في بلاد إسرائيل...) وبموجب هذا القرار نعلن تأسيس الدولة اليهودية).

وهكذا قامت دولة غريبة، ومع ذلك لم تسمح إلى اليوم بقيام دولة عربية، كما تسمح لنفسها بالخروج على قرارات الأمم المتحدة. وحين أقرت الهيئة عام ١٩٧٥ بأن اسرائيل «دولة عنصرية» ما زاد مندوبها أن وقف ومزق القرار، معلناً احتقاره واحتقار الهيئة التي أصدرته، ولولا «الفيتو» الأمريكي لطردت هذه الدولة منذ سنوات من هيئة الأمم، لأنها تستخف بها ولا تنفذ قراراتها.

فالدولة التي لا تحترم هيئة الأمم، ولا تنفذ قراراتها، بل تمزق بعض هذه القرارات علناً، أيحق لها أن تأخذ منها ما يحلو لها، وتترك ما لا تحب؟؟ كنت في الثمانينات في جمهورية جنوب أفريقيا، فرأيت الصحف تحرض الحكومة على عدم الاهتمام بهيئة الأمم وقراراتها، وعدم الالتزام بشيء منها، والحجة أن ثمة دولة صغيرة، قامت بقرار من هيئة الأمم، ومع ذلك فهي لا تسمع لهذه الهيئة، ولا تنفذ قراراتها، بل لا تحترمها، فلماذا نخاف نحن، لماذا لا نفعل كما تفعل اسرائيل؟؟.

إن الاستناد لقرار هيئة الأمم بتقسيم فلسطين، يعني الاعتراف

والرضا بتلك الهيئة وبما أصدرت، وهي اليوم تعاديها كما تعادي اليونسكو وغيرها فكيف يقبل عقلاً وقانوناً «هذا الانتخاب» بأخذ شق ورفض شق؟ قد يقال بأن العرب رفضوا هذا القرار، نعم رفضوه، لأنه سلبهم أرضاً لهم، وأعطاها لمهاجرين ليس لهم علاقة بها، وها هم اليوم عادوا يطالبون بإنفاذ المشروع كما جاء ، وإسرائيل ترفضه، لأنها ابتلعت كل فلسطين.

فكيف تكتسب دولة حقاً من قرار ترفضه هي على الدوام؟؟

ومن هيئة تعاديها وتحتقرها، وترفض كل ما تقرره؟؟

٦ - الحق الإنشائي

اخترع الصهاينة حقاً أسموه «الحق الإنشائي» مدعين أنهم قاموا بأعمال وإنجازات حققوها في فلسطين، وأخرى يتطلعون إليها، وأهمها التفوق الحضاري، وملء الفراغ الذي تعيشه فلسطين والشرق، وذلك عن طريق المكاسب أو «المكاسر» التي سيجنيها العرب من وجود الصهاينة في فلسطين ونشاطهم فيها.

وهذا المنطق مستعار من دهاقين الاستعمار.

أما ما استفاده أهل فلسطين فشيء عظيم حقاً يتمثل بتحويل الملايين من إلى لاجئين، بعضهم في الداخل والبعض في الخارج، ونهب أرضهم وممتلكاتهم، وما زال الصهاينة يمدونهم بأسباب الحضارة والتقدم، فتزورهم الطائرات وتهديهم القنابل العنقودية وغيرها كما تغير قواتهم يومياً لتقتل منهم من تستطيع، وأما من بقي منهم في الداخل، فتداهمه قواتهم يومياً، تعتقل من تشاء، وتعذب من تشاء،

وتفرض منع التجول كما تشاء، تغلق المدارس، وتقتل الصبيان، وهذا ما تقدمه لأهل فلسطين، أما ما قدمته الصهيونية لشعوب المنطقة، فهي الحروب المتصلة والغارات التي لا تنقطع، وحرب لبنان خير دليل، ثم إجبار الحكومات على شراء السلاح، واستهلاك الثروة القومية كلها في هذا الميدان، إضافة إلى إغراء الكبار بالتدخل، فالاستعمار الذي رحل، عاد مجدداً بسبب اسرائيل، وسياستها العدوانية، وإشعالها الحروب، وتهديدها للمنطقة بأسرها، حتى وصلت طائراتها إلى بغداد وإلى تونس، وقد سبق أن نقلت شهادتين للفيلسوف رسل وتوينبي توضح بجلاء دور اسرائيل الحضاري.

ومن صور الكذب والنفاق ما قاله الزعيم الصهيوني «ماكس نوردو».

(سوف[1] نبذل ما في وسعنا لكي نعمل في الشرق ما عمله الإنكليز في الهند- بل أوسخ وأقذر منهم- أعني بذلك النشاط

ماكس نوردو: ١٨٤٩ - ١٩٢٣ واسمه «سيمون ماكسيميليان سودفيلد» ولد في المجر ودرس أولاً على أبيه الحاخام ثم عمل بالصحافة، ودرس الطب في بودابست وكتب عام ١٨٨٣ كتابه أكاذيب في حضارتنا التقليدية، حيث حمل فيه على الدين والحضارة باسم العلم والفلسفة، وهذا شأن الكثير من الصهاينة يلحدون ويؤيدون قيام دولة دينية، في نفس الوقت. تعرف على هرتزل وأعجب به وبأفكاره وصار من أخلص تلاميذه، لذا خلفه على رئاسة المؤتمر الصهيوني، وهو زعيم صهيوني من أخطر زعمائهم.

موسوعة المفاهيم ص ٤٠٠.

(١) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ١٨٤.

الثقافي والحضاري، وليست السيطرة والتسلط، فنحن ننوي الذهاب إلى فلسطين بمثابة الحملة المعتمدين للمدنية والتحضر، ورسالتنا هي توسيع الحدود الخلفية حتى تصل إلى الفرات) ولماذا يقف التحضر والبركات عند الفرات فقط؟؟ هل لأن هذه حدود اسرائيل التوراتية أم ماذا؟؟

ومع ذلك فقد وصلت طائراتكم إلى بغداد موسعة «الحدود الخلفية» إلى دجلة، وليس للفرات، فهل حصل خطأ من الطيارين؟؟ ومن الأكاذيب الكثيرة قولهم أن أرض فلسطين خالية من الزرع، وتسكنها بعض القبائل البدوية، وقد جاءوا لتعميرها. إلا أن صهيونياً انبرى لتكذيبهم هو «آحاد هعام» حيث قال[1] (اعتدنا أن نقول في التاريخ بأن أرض فلسطين شبه صحراوية، وأنها لا زرع فيها ولا ضرع وعلى من يشاء الحصول على أرض أن يأتي هنا ويأخذ ما

---

(١) ملف اسرائيل/جارودي ص ٤٤.

آحاد هعام: واسمه «آشر جينز برج» ولد عام ١٨٥٦ ـ ١٩٢٧ م في أوديسا وانضم أولاً إلى (احباء صهيون) إلا أنه رفض سياسة الاستيطان الفوري، كما هاجم الصهيونية السياسية، ودعا إلى إحياء اليهودية أولاً ثم الدولة بعد ذلك وليس العكس وأسس جماعة سرية تحت اسم «بنو موسى» لنشر المثل اليهودية الخلقية، ومن المهتمين بوضع البروتوكولات الصهيونية، وخلال استقراره في لندن ساهم في إصدار وعد بلفور، وحين رأى ما يفعله اليهود بعرب فلسطين تألم وراح يطالب بحقوقهم، وينتقد الحقد والكراهية من اليهود لهم، هاجر إلى فلسطين وسكن تل أبيب واختلف مع الصهاينة وراح يهاجمهم، من كتبه (في مفترق الطرق) وكتب أخرى موسوعة المفاهيم ص ٥٨.

يشاء، غير أن الواقع مخالف لذلك تماماً، فيصعب أن نجد في طول البلاد وعرضها أرضاً بلا زرع، والمناطق الوحيدة غير المستزرعة هي مساحات من الرمال وجبال صخرية، يمكن أن تنمو بها أشجار الفاكهة بعد جهد شاق من استصلاح الأرض وإعدادها).

وقد شهد العالم عند تسليم سيناء للمصريين، ما فعله الصهاينة، حيث نسفوا المباني، ولم يتركوا شيئاً، فهذه هي رسالة الحضارة التي وعدونا بها، وباقي الرسالة سطرت في حرب بيروت، وفي مذابح دير ياسين، وفي تعذيب السجناء حتى الموت، هذه الرسالة الحضارية التي لمسناها ورأيناها، إن الصهيوني ولو كان من أصحاب الملايين، فهو في أعماقه «شحاذ» والشحاذ معتاد على الأخذ لا العطاء، بل هو يجهل العطاء، ويده دوماً مفتوحة للأخذ. قد يتبرع الصهيوني لصهيوني آخر، لكنه لم يتعود العطاء للأغيار، ولن يتعود أبداً.

فالادعاء بحق «إنشائي» هو لعب بالألفاظ، كما كان الاستعمار يقول أتينا لتمدينكم وتحضيركم، ثم تكون النتيجة فتح النار على الشعوب، ونهب خيراتها.

والصهاينة تلاميذ السيد المستعمر، ولن يتجاوزوه في هذا إلا في المزايدة والكلام المعسول المنمق.

أنصح القارىء المحب للتوسع في باب «الحقوق الإسرائيلية» أن يطلع عليها في رسالة الأخ «أحمد عبد الله الزغيبي» والتي كانت تحت عنوان «الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي»، والأمل أن تطبع قريباً بإذن الله.

المراجع

١ ـ **إسرائيل فتنة الأجيال:** إبراهيم أحمد خليل؛ العهد الجديد بالقاهرة ١٩٧٠ م.

٢ ـ **الاستعمار والمذاهب الاستعمارية:** د. محمد عوض. دار الكتاب العربي ١٩٥٣ م.

٣ ـ **البداية والنهاية:** ابن كثير، مطبعة المتوسط.

٤ ـ **تكوين الصهيونية:** خالد القشطيني، الطبعة الأولى.

٥ ـ **التبشير والاستعمار:** د. عمر فروخ المكتبة العصرية؛ بيروت ١٩٧٣ م.

٦ ـ **التوراة.**

٧ ـ **الحرب من أجل السلام:** عيزرا وايزمن، دار الجليل.

٨ ـ **سياسة الاستعمار والصهيونية**: الدكتور الخولي: دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠ م.

٩ ـ **الشخصية الاسرائيلية**: الدكتور حسن ظاظا الطبعة الأولى.

١٠ ـ **الصهيونية حركة عنصرية** «مؤتمر طرابلس» الطبعة الأولى.

١١ ـ **الصهيونية والعنصرية** «مؤتمر بغداد» الطبعة الأولى.

١٢ ـ **الصهيونية واسرائيل وآسيا**: ج. جانسن. مطابع الحوادث ١٩٧٢ م.

١٣ ـ **الصهيونية بين الدين والسياسة**: عبد السميع الهراوي: القاهرة ١٩٧٧ م.

١٤ ـ **الصهيونية والنازية**: عصام شريح: دار الفن للطباعة، بيروت.

١٥ ـ **عقدة النزاع العربي الاسرائيلي**: الدكتور مجيد خدوري: الطبعة الأولى، ١٩٧٤ م.

١٦ ـ **العرب واليهود في التاريخ**: الدكتور أحمد نسيم سوسه: الطبعة الأولى.

١٧ ـ **فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم**: زكريا هاشم.

١٨ ـ **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**.

١٩ ـ **القومية عرض وتحليل**: الدكتور بويد شيفر.

٢٠ ـ **الماركسية والدولة الصهيونية**: أديب ديمتري: الطبعة الأولى ١٩٧١ م.

٢١ ـ **مدى مشروعية أسانيد السيادة**: الدكتور محمد السيد: عالم الكتب القاهرة.

٢٢ ـ **ملف اسرائيل**: د. رجاء جارودي: الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

٢٣ ـ **مفارق الطرق إلى إسرائيل**: كريستوفر سايكس: الطبعة الأولى ١٩٦٦ م.

٢٤ ـ **الموسوعة العربية الميسرة**: بالاشتراك، غربال وغيره، ١٩٨١ م.

٢٥ ـ **موسوعة السياسة**: بالاشتراك، عبد الوهاب الكيالي وغيره الطبعة الأولى ١٩٨١ م.

٢٦ ـ **المثلث الإيراني**: العلاقات السرية الإيرانية الأميركية: دار الجليل.

٢٧ ـ **نهاية اسرائيل**: عمر أبو النصر.

٢٨ ـ **المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية**: بديعة أمين.

٢٩ ـ **يوميات قادة العدو**: موشي دايان الطبعة الأولى.

٣٠ ـ **يوميات قادة العدو**: جولدا مائير الطبعة الأولى.

٣١ ـ **مجتمع الكراهية**،سعد جمعه: دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٢ ـ **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية**: بالاشتراك المسيري وغيره ١٩٧٤ م.

٣٣ ـ **هذه فلسطين**: حسين التريكي : الشركة التونسية للطباعة ـ تونس.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
● تقديم بقلم عمر عبيد حسنه	٧
- مقدمة المؤلف	٣٣
● **الفصل الأول :- اليهود والظواهر الغريبة**	٣٩
- ثقة بالنفس أم غرور	٤٥
- ظواهر غريبة	٥٤
- الشعور بالأخوة	٥٦
- فقدان الرغبة في الحوار	٥٨
- إثارة مخاوف الآخرين	٦٢
- الارتباط بفلسطين	٦٨
- قانون العودة	٧٦
● **الفصل الثاني** : عبادة القوة والتحالف مع الأقوياء	٧٨
- التحالف مع الأقوياء	٨١
- نبذة تاريخية	٨١
- نصوص مختارة لقادة إسرائيل	٩٥
- تحالف اليهود مع الفاشية والنازية	٩٧
- بعض الأدبيات اليهودية	١٠١

الموضوع	الصفحة
● الفصل الثالث : الاستعمار والصهيونية (الأستاذ والطالب)	١٠٦
- الاستقلال الصهيوني والتبعية في آن واحد	١٣٥
- التوسعية والوحدوية	١٣٧
- التفاوت الثقافي بين المهاجرين اليهود	١٤٢
● ملحق : الحقوق الصهيونية المدعاة في فلسطين	١٤٦
- الحق التاريخي والحق الديني	١٤٦
- الحق القومي	١٥٠
- الحق الإنساني	١٥٢
- الحق القانوني	١٥٧
- قرار التقسيم	١٦٧
- الحق الإنشائي	١٦٥
- المراجع	١٦٩

وكلاء التوزيع

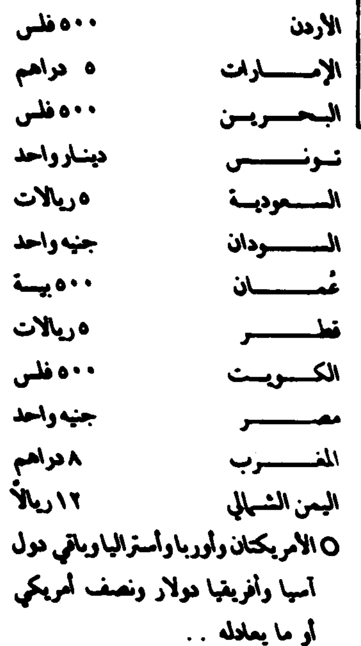
البلد	إسم الوكيل	رقم الهاتف	عنوانه
قطر	□ دار الثقافة	٤١٤١٨٢	ص . ب ٨١٥٠ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	٣٤٤٨٣٠	ص . ب ٤٦٩٥ أبو ظبي
	□ المكتبة الحديثة	٦٥٥٦٢٢	ص . ب ١٥٥٤٠ العين
	□ جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي	٦٦٥٦٥٤	ص . ب ٤٦٦٣ دبي
البحرين	□ مكتبة الآداب	٢٣١٠٦٢	ص . ب ٢٨٧ البحرين
السعودية	□ شركة تهامة للتوزيع	٦٦٩٥٠٠٠	جدة ص . ب ٩٤٠٩ ٢١٤١٣
		٤٠٥٤٤٤٠	الرياض
		٥٤٥٠٥٤٥	مكة
عُمان	□ مكتبة الثقافة الإسلامية	٢٩٢٩٣٤	ص . ب ١٨٦٨٢ ظفار - صلاله - سلطنة عمان
الكويت	□ مكتبة دار المنار الإسلامية	٢٦١٥٠٤٥	حولى شارع المثنى ص . ب ٤٣٠٩٩ رمز بريدي ٢٣٠٤٥
الأردن	□ مؤسسة الفريد للنشر والتوزيع	٦٠١٥٠١	عمان ص . ب ٩٦٠٦٥٤
اليمن	□ مكتبة الجيل الجديد	٧٨٠٤٠	صنعاء ص . ب ٥٤٤
السودان	□ دار التوزيع	٧٩٤٦٠	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
مصر	□ مؤسسة توزيع الأخبار	٧٤٨٨٤٤	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ الشركة العربية الافريقية للتوزيع « سبيرس »	٢٤٩٢٠٠	ص : ب 13008-70 زنقة سجلماسة - الدار البيضاء 5
انكلترا	□ دار الرعاية الإسلامية	2725170 2633071	MUSLIM WELFARE HOUSE 233, SEVEN SISTERS ROAD LONDON, N4, 2DA UNITED KINGDOM





مركز البحوث والمعلومات

هاتف	:	٤٦٦٢٢٢
تلكس	:	٥١١٥ شرعية دح
فاكس	:	٤١٢٦٧٠
برقيا	:	الأمة الدوحة
ص . ب	:	٨٩٣ الدوحة ـ قطر



ثمن النسخة

الأردن	٥٠٠ فلس
الإمارات	٥ دراهم
البحرين	٥٠٠ فلس
تونس	دينار واحد
السعودية	٥ ريالات
السودان	جنيه واحد
عُمان	٥٠٠ بيسة
قطر	٥ ريالات
الكويت	٥٠٠ فلس
مصر	جنيه واحد
المغرب	٨ دراهم
اليمن الشمالي	١٢ ريالاً

○ الأمريكتان وأوربا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا دولار ونصف أمريكي أو ما يعادله ..

رقم الايداع بدار الكتب القطرية

٣٩٣ لسنة ١٩٩١

■ لم أنطلق من أن كل اليهود أشرار ، بل حاولت تلمس الموضوعية جهد ما أستطيع ، ولم أستسغ التهم والمبالغات التي تسند كل شر لليهود ■

■ إن معرفة العدو معرفة دقيقة بعيدة عن كل تهوين أو تهويل ، ضرورية من أجل التعامل معه على هدىً ونور ■

■ يبدو أن الكثير من حكام العالم الإسلامي صدق الهمس اليهودي الخفي : أن الخطر على كراسيهم ليس من إسرائيل ، ولكن من العناصر الإسلامية (المتطرفة) ، وبذلك تَفَرَّقْنا وَزُرِعَ الشك بيننا ■

■ لقد اتسمت علاقتنا بالصهيونية حتى حرب ١٩٦٧ م ، بالتهوين الكامل ، فهم شراذم ، وعصابات ، وشذاذ آفاق ، وكلاب حراسة ، وبعد هزيمة ١٩٦٧م تبدل العزف من التهوين إلى التهويل ، حتى أصبح من المستحيل إلحاق الهزيمة بإسرائيل ! ■

■ الأحزاب والجماعات المعادية لليهود ، وُجِدَ دومًا بين أعضائها يهود ، حتى الجماعات التي شاركت بالاعتداء على اليهود وجد بينها يهود . . فما التفسير ؟! ■

■ إن أغلبية الشعب اليهودي قد فضلت أن تتعلم من « هتلر » أكثر مما تعلمت من موسى ، ذلك أن هتلر أثبت أن التاريخ ليس من نصيب من يملك الإيمان ، ولكنه من نصيب من يملك القوة ■

ـ مارتن بوبر ـ

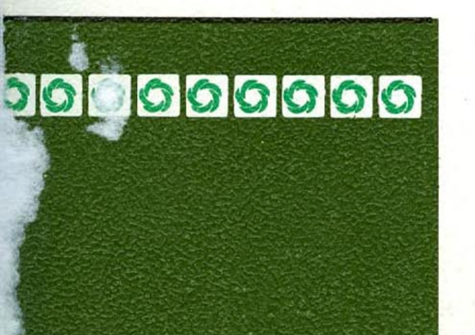
■ إن بريطانيا تستحق الإدانة بسبب ما اقترفته من تعام وإهمال متعمد بالنسبة لكارثة فلسطين ■

ـ توينبي ـ



الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

● حصل على الليسانس والماجستير في الشريعة من ج... بغداد .
● حصل على الدكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة ال... ١٣٩٢هـ .
● اشتغل في تدريس « الثقافة الإسلامية » بجامعة ... محمد بن سعود وهو يدرسها حالياً في جامعة الملك سع...
● من مؤلفاته : أحكام المرتد ، تصرفات المريض ... الموت في الشريعة والقانون ، في الحضارة وأمراض... التكفير : جذوره وأسبابه ، الفكر العربي و... الاستشراقي بين د . محمد أركون ود . ... سعيد ، مباحث في الثقافة الإسلام... إلى جانب العديد من البحوث والمقالات .
● له تحت الطبع : الصحوة الإسلامية ، ... والمتغيرات ، النقد الذاتي .
● يرى أن العمل الإسلامي لا بد أن يتوفر له الإ... والوعي ، ولا يكفي أحدهما . وأن التحدي الصه... أكبر تحدٍ يجابه الأمة منذ الحروب الصليبية وغزو ال... ولا بد من استجابة واعية لهذا التحدي .



طبع بمطابع مؤسسة الخليج للنشر والطباعة